١٢٣

روايات احلام

رحلت...

www.elromancia.com

مرمورية

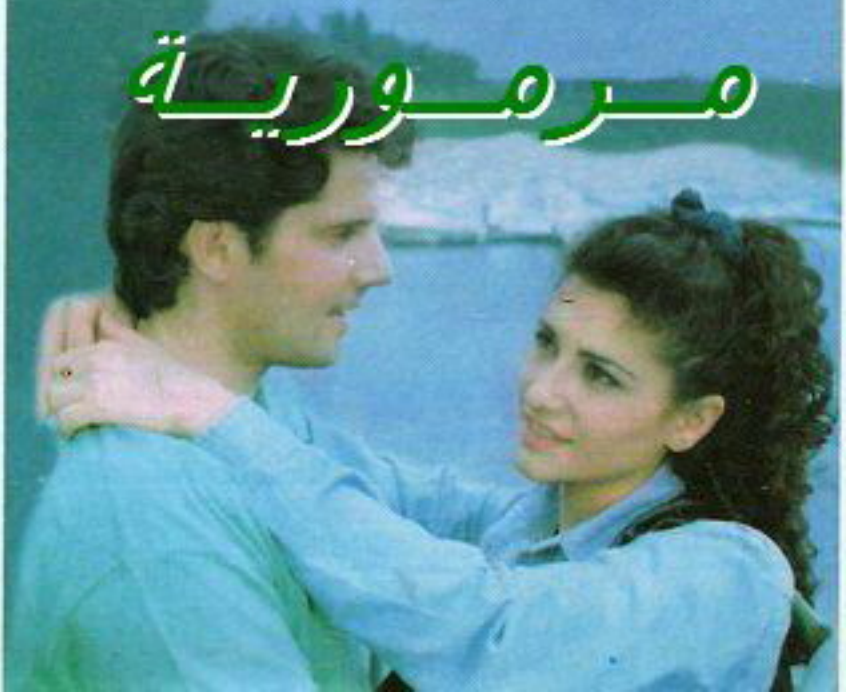

روايات احلام

رحلت...

هل يستطيع الحب أن يلغي الفوارق ويقفز فوق الحواجز والشكوك؟

أمنت ديانيرا أن الحب يستطيع أن يجعل المحال ممكناً عندما أحبت صياداً يونانياً فقيراً خلال إجازتها القصيرة في اليونان، وحلقت معه في سماء السعادة حتى أسقطتهما سهام الحقيقة إلى أرض الواقع...

- أنت تطلب مني أن أضحي بكل شيء دون أي تنازل من جانبك وهذا ليس عدلاً...

- خُلق الرجل ليقود، وخُلقت المرأة لتتبع الرجل... لك الخيار بين أن تثقي بي وبين أن ترحلي!

كان هذا إنذاره الأخير، وقد رفضته... فلم يعد هناك ما يُقال... إلا الوداع!

www.elromancia.com

لبنان ٢٠٠٠ ل.ل. الإمارات ٦ د. مصر ٤ ج. ليبيا ٤ د.
سوريا ٥٠ ل.س. قطر ٦٠٠ ر. المغرب ١٥ د. اليمن ٢٠ ر.
الأردن ١ د. البحرين ٦٠٠ ف. تونس ١,٥ د. السودان ٢ ج.
الكويت ٥٠٠ ف. السعودية ١٠ ر. عمان ٦٠٠ ب. العراق ٢ د.

١ ـ ليل الغرباء

لم تفعل ديانيرا شيئاً غير الاسترخاء لأسبوع كامل في أول عطلة حقيقية أخذتها بعد أربع سنوات من التعب، الشقة التي أقامت فيها لها حديقة مغطاة بعريشة عنب ممتدة حتى الشرفة المطلة على الميناء. جلست ظهراً في حر الشمس الساطعة تحت ظليلة من الأوراق الخضراء تراقب المتنزهين الآخرين يتناولون غداء سمك وسلطة يونانية في المقاهي المحاذية للبحر.. لم تشعر دي بالرغبة في الإنضمام إليهم طيلة سبعة أيام، تفضل الطهو لنفسها وتناول طعامها في عزلة.

لم تفسد الجزيرة بالفنادق الفخمة والڤيلات السياحية.. بسبب نقص المياه، وصعوبة الوصول إلى الجزيرة التي تبلغ ثلاث ساعات بحراً من أقرب مطار في «كورفو». أهل الجزيرة كذلك كانوا غير متأثرين ببعدهم عن المناطق المكتظة على ساحل المتوسط.

هنا في «باكسوس» الناس وديون ومضيافون. كل يوم، كانت غابريللا التي تنظف الشقة، تقدم لدي قصعة من الزيتون المحلي الصغير اللذيذ، أو البيض الطازج، أو التين الناضج.. ومن الواضح أنها كانت قلقة من أن تشعر دي بالوحشة وحدها.. فحاجز اللغة بينهما كان يمنع المرأة اليونانية من التعبير عن حيرتها من مجيء فتاة جميلة في عطلة ولوحدها، بدلاً من أن تكون مع فتاة أخرى أو مجموعة أصدقاء، وكانت «دي» تحس بفضولها.

لكن، حتى ولو كانت غابريللا تتكلم الانكليزية مثلها مثل العديد من أهل باكسوس، أو لو أن معرفة دي باليونانية تتعدى الكلمات الضرورية مثل «ايفهرستو» أي شكراً، «وكاليمارا» أي صباح الخير، فمن المستحيل أن تشرح سبب قناعتها بهذه العزلة.

اللغة لم تكن العائق الوحيد بينهما، فخلفياتهما الاجتماعية والثقافية كانت مختلفة تماماً وكأنهما من عالمين مختلفين.. بالنسبة لدي، أن تقضي حياتها في جزيرة يونانية صغيرة مهما كانت مثالية أمر لا يمكن أن تفكر به. وبالنسبة لغابريللا، قضاء حياتها دون زوج أو أولاد يماثل الأمر الأول في استحالة التفكير به.. لن تفهم أبداً أن النساء في العالم الواسع خارج «باكسوس» لديهن العديد من الخيارات لطريقة حياتهن، وأن دي قد اختارت أن تكون لها مهنة، كانت لا تترك لها الوقت أو الطاقة لأي عمل آخر، أو إنسان آخر.. صحيح أنها في سن الثامنة عشرة أحبت زميلاً طالباً معها في كلية العلوم، الذي فاق بذكائه موهبتها المتواضعة، وظنت يومها أن الزواج هو وظيفتها.

لكن توم قتل في حادث سيارة، وهي الآن حين تتذكر، لم تعد واثقة ما إذا كان الحزن هو الذي دفعها إلى طموحها الحالي، أم أن طموحاتها كانت موجودة في نفسها على الدوام.

في نهاية أسبوع من التشمس أصبحت بشرتها بنية ذهبية، وتحول مزاجها إلى الخوض في مشاريع أخرى بدلاً من البقاء في القرية، أو الاستحمام في المياه الخضراء الصافية البلورية الحصى التي تبعد خمس دقائق عن شقتها سيراً على الأقدام.

أولى رحلاتها كانت إلى «غايوس» التي تعد الأكبر بين القرى، حيث اشترت لنفسها حذاءً مطاطياً لحماية قدميها من الحصى على الشاطىء، وخاتم فضي غالي الثمن على شكل «دلفين» قافز.. أمضت النهار كله في «غايوس» وتناولت العشاء في مطعم على شارع جانبي،

حيث كان عدد من الرجال اليونانيين والأجانب، ينظرون إليها باهتمام وحاول رجل إنكليزي أن يصادقها. لكن بالطريقة اللبقة التي تعلمتها في التعامل مع الزبائن الصعبي المراس صدت دعوته لقضاء اليوم التالي في صحبته.. صحيح أنه استطاع إقناعها بمشاركته فنجان قهوة، لكنه لم يقنعها أبداً بالبقاء، وعادت إلى القرية في سيارة أجرة، بدلاً من باص الساعة التاسعة.

في اليوم التالي استأجرت قارباً ذا محرك خارجي، وتجهزت للنزهة، فحضرت الخبز والمرطبات وقطعة جبن غنم بيضاء، وأبحرت تستكشف الساحل الشرقي للجزيرة. فالساحل الغربي، بصخوره المرتفعة، وتجاويفه، لا يمكن لأحد الوصول إليه سوى مع صياد سمك محلي، لأنه مكان خطر لمن لا خبرة له فيه.

حدث أن دي أمضت معظم ليلتها السابقة مستغرقة في قراءة كتاب من مجموعة كتبها الضخمة.. نتيجة لهذا، ومع حلول الظهر، وبعد أن تناولت غداءها أحست بالنعاس.

عندما استفاقت من غفوتها، رأت أن النسيم العليل قد تصاعد.. في الخارج، كان البحر ما بين باكسوس واليابسة الرئيسية في اليونان، مغطى بالزبد الأبيض.

كانت قد قرأت في كتاب الدليل عن العواصف الرعدية المفاجئة التي تظهر في شهر أيلول..

بعد نصف ساعة، حيث كان من المفترض أن تكون راسية بأمان في «لوغوس» كانت لا تزال في عرض البحر، وقد توقف المحرك فجأة، وليس هناك مركب آخر على مدى النظر تأمل منه أن يسحبها إلى الشاطىء.

لم يعد أمامها سوى التجذيف، لكن القارب لم يكن مجهزاً لوضع المجذافين في موضعهما السليم.. كان يجب ربطهما إلى إسفينين

بواسطة أنشوطة مزدوجة من الحبال، عملية تسببت في خسارتها لظفرين من أظافرها.. وكانت قد بدأت تشعر أنها ستكون محظوظة لو أنقذت نفسها.. فلقد أصبح من الواضح الآن، والمجذافين في مكانهما الصحيح، أنها لن تتمكن من التجذيف حتى «لوغوس» بينما الريح والتيار يعاكسانها.

هكذا، لم يعد لديها خيار سوى أن تجذف في الاتجاه المعاكس، جنوباً باتجاه «غايوس».. وقدرت مسافتها الحاضرة من «غايوس» بميلين.. وكانت العاصفة تقترب بسرعة أسرع من قدرتها على التجذيف.

سرعان ما هطلت الأمطار بغزارة، وما هي سوى لحظات حتى كانت مبللة بالماء.. شعرها البني الأحمر الطويل، قد تحول إلى أذيال فئران، قميصها ملتصق بجسمها، والأمواج تتلاطمها يمنة ويسرى.

كان البحر أزرقاً، هادئاً، ساعة انطلقت هذا الصباح، وهو الآن بلون الحبر الداكن مثله مثل السماء فوقها.. وظلت السماء تمطر حوالي الربع ساعة، مع أنها أحست أنه وقت طويل إلى أن أصبحت الألواح التحتية للمركب مغمورة بالمياه.. فجأة، وأمام ارتياحها الذي لا حد له، خف المطر، ورأت أن السماء الآن أخذت تنفرج قليلاً.. واضح أن العاصفة كانت عابرة.

بدأت تشعر بالبرد ولسعته.. جعلت قروح مؤلمة في راحتيها بسبب التجذيف صعباً عليها أن تتقدم كثيراً.

عندها سمعت صوت محرك يقترب منها، لم تتعرف إليه في البداية. فقد بدا لها من غير المحتمل أن تجد أحداً في البحر لم يلاحظ رداءة الطقس مثلها.

لكن صوت الهدير استمر بالاقتراب.. فأراحت دي المجذافين ونظرت إلى يسارها، وهي غير مصدقة أنها فعلاً ترى مركباً آخر، وأنه

يتجه رأساً نحوها. لم يكن مركب صيد قديم مثل الذي استأجرته، بل كان قارباً مطاطياً ذو محرك أكبر من محرك قاربها ويعتمد عليه. وكان فيه شخص واحد فقط. يوناني أسمر، قميصه المبلل يكشف عن كتفين عريضتين وذراعين قويتين.

صاح بالإنكليزية:

ـ ماذا تفعلين هنا لوحدك؟

ـ المحرك تعطل.

لم يطرح المزيد من الأسئلة، بل بدأ يعمل على جرها بكفاءة دلت على أنها ليست السائحة المجنونة الأولى التي ينقذها من موقف مماثل.

أحست دي بارتياح كبير لأنها لم تعد مضطرة للتجذيف، حتى أنها لم تهتم إلى أين سيأخذها.. الآن فقط، وتحت جناح شخص يعرف كيف يتعامل مع مواقف كهذه، أدركت كم كانت مرتعبة في أعماقها.

بدأت ترتجف، أولاً بسبب البرد ومن ثمّ بسبب اختزان التوتر داخلها.. وكانت أسنانها تصطك عندما أوقف الرجل اليوناني محركه مع وصولهما إلى جون آمن، وترك قاربه يندفع تلقائياً حتى وصل إلى رصيف صغير مبني من الصخور.

قال آمراً بصوت أجش:

ـ لا تتحركي.. ابقي هادئة.

قفز بخفة إلى البر واثق الخطوة، وربط مركبه ببراعة الخبير.

عندما رأته واقفاً على قدميه، بدا أطول قامة مما توقعته. القليل من اليونانيين الذين قابلتهم كانوا فوق الطول المتوسط، لكن هذا الرجل لا يقل طولاً عن المئة وثمانين سنتمتراً، وكتفاه العريضتان، وصدره المليء بالعضلات، كانت تشير إلى أنه يكسب رزقه إما برمي الشباك، وإما باستخدام المعول. كان بنطلونه الجينز مشدوداً على ساقيه فوق

خصره النحيل.

ـ الآن يمكن أن تتحركي.

شد مقدمة قاربها إلى الرصيف، ومد يده ليساعدها.

ما أدهشها في قبضته، لم يكن القوة بل الدفء. بينما كانت تشعر بالبرد حتى عظامها، كانت أصابعه حارة وكأن الشمس لا تزال مشرقة.

ما إن خطت على الرصيف، بدلاً من الإحساس بالثبات أحست بأن الأرض تميد تحتها وكأنها لا تزال فوق المركب. ولم يكن أمامها ما تتمسك به سوى الرجل اليوناني، وبلحظات كانت بين ذراعيه، لم تكن واقفة بل ممددة أفقياً.. وبسهولة حملها كفتاة صغيرة ورفعها من فوق الصخور ما بين الرصيف والشاطىء.. في آخر الشاطىء كان هناك طريق يقود صعوداً عبر أيكة أشجار كثيفة.. قالت محتجة حين لم ينزلها إلى الأرض:

ـ أوه.. أرجوك.. لا يمكن أن تحملني صعوداً فوق التل. أنا بخير الآن.. سأسير.

تجاهل الرجل اعتراضها.. ولم يبدُ أن السلم الحجري الشديد الانحدار قد جعل منها عبئاً عليه.. من الواضح أنه ممتاز الصحة إلى درجة عالية.

قال آمراً:

ـ سنصل إلى أكثر الأماكن انحداراً، ضعي ذراعك حول عنقي.

أطاعته دي، وطوقت عنقه بذراعها اليسرى وعلقت أصابعها بكتفه من الأمام.

لأكثر من عام بعد وفاة توم، كانت مشوشة جداً، محطمة الفؤاد، لا تشعر بشيء عدا شوق يائس للإحساس بذراعيه حولها ولو لمرة واحدة، فتشعر بحنانه ودفئه. فيما بعد، ومع انخفاض وتيرة الحزن، انغمست كثيراً في عملها، ولم يكن لديها وقت للنشاطات

الاجتماعية.. معظم الرجال الذين التقت بهم، كانوا إما أزواجاً لنساء أخريات، أو غير مهتمين جداً بالجنس الآخر. وهي كانت تفضل تخصيص كل وقتها وطاقتها لعملها.

جدها الحبيب، البالغ الآن الثالثة والثمانين من عمره، كان مغرماً بترديد قول شهير لتوماس أديسون: «العبقرية إلهام واحد بالمائة، وتسعة وتسعون بالمائة تعب وعرق». لكن دي لم تكن تدعي يوماً أنها عبقرية، مع أنها كانت تؤمن أن العالم فقد عبقرياً كتوم.. وبالنسبة لنفسها كانت تطبق نظرية جدها بأن النجاح هو واحد بالمائة حظ وتسعة وتسعون بالمائة تركيز. ووجدت أنه من المثير للاضطراب أن تجد نفسها الآن بين ذراعي هذا الرجل تشعر بأحاسيسها التي كبتتها طويلاً، قد بدأت تتحرك إلى الحياة.

سألت، وهي تحاول إنكار واقع أنها فجأة تتمتع بأن تكون بين ذراعيه، لسبب آخر غير تعبها.

ـ هل هناك قرية في الأعلى؟

ـ لا.. بل كوخ جدتي، حيث ستتمكنين من ارتداء ثياب جافة، وترتاحين إلى أن ينتهي هذا الطقس الرديء.. فيما بعد سأتفحص المحرك في مركبك، وأرى إذا كان بمقدري إصلاحه.

هذا الرد المميز في دقته، دون أية لكنة يونانية، جعلها تدرك أنها مخطئة في ظنها أنه لا يتكلم الإنكليزية جيداً، فواضح أنه يتقنها.

سألت: إلى أين كنت ذاهباً عندما رأيتني؟

ـ ليس إلى مكان محدد.. كنت في الكوخ، أراقب العاصفة، حين شاهدت مركبك يتجاوز الرأس الأرضي في طقس كهذا، من الحكمة أكثر الاتجاه إلى الشاطىء حال توقف المحرك.

ـ أعرف هذا.. وعرفت أنني اتخذت الاتجاه الخاطىء.. ومن حسن حظي أنك رأيتني.. لم أكن قادرة على الاستمرار مدة أطول.

أشعر أن راحتي يدي تشتعلان ناراً!

ـ وهل أصبتا بالتقرح؟

ـ أجل، فأنا غير معتادة على التجذيف.

ـ هذا ما لاحظته.. لكن على الأقل لم تكوني في هستيريا مثل بقية الفتيات عندما يقعن في تجربة مماثلة. لماذا كنت وحدك في المركب؟ هل سافرت مع صديقك وتركته يعود إلى بلاده؟

ـ أنا لست هنا مع صديق، ولا مع أصدقاء.. جئت إلى باكسوس لأسبوعين من الراحة التامة والهدوء.

بدأت الطريق تستوي، وتكشف عبر المطر، عن كوخ أبيض، سطحه غير متوازٍ، من الآجر الطيني القديم، له نافذتين بمصاريع خشبية على جانبي الباب الذي يصل إليه المرء عبر درجات سلم قصير على جانبيه أوعية ضخمة من النوع المستخدم لخزن الماء في الجزيرة، التي تأتي كل مياهها من السماء، ولا ينابيع فيها.

كما قيل لدي، الناس في «غايوس» يعتمدون على الآبار الإرتوازية، لكن في أمكنة أخرى من باكسوس لا يزال المحليون والسواح يعتمدون على مخزون ماء المطر في خزانات تحت الأرض، وحين تنضب يلجؤون إلى خدمات شاحنة بمستوعب ماء.

بسبب نقص الماء الشديد، فالجزيرة، مع كل جمالها، لم تكن المكان الذي قد يجده زبائنها المعتادين على الفخامة، منتجعاً ممتعاً.. لكن، بالنسبة لدي نفسها، مع أنها معتادة على كل وسائل الراحة، إلا أن الأيام الطويلة التي قضتها وهي تتمتع بأشعة الشمس، ودفء المياه الشاحبة الخضراء، كانت تعويضاً كبيراً لها عن الوسائل الصحية البدائية. خاصة بعد مرور صيف مميز لا شمس فيه في انكلترا.

عند أسفل السلم، أنزلها الرجل اليوناني بخفة حتى وقفت على قدميها، لكنه أبقى ذراعه حول خصرها ليساعدها في صعود الدرجات.

لم يكن الباب موصداً، دفعه وفتحه، ولدهشتها مد يده إلى الداخل وأضاء النور الكهربائي، كانت تفترض أن منزلاً معزولاً كهذا ينار عادة بمصباح زيت أو شموع.

دخلا المنزل، مباشرة إلى مطبخ بدا أنه في نفس الوقت غرفة جلوس.. كان يسيطر على المكان فرن طهو قديم الطراز يعمل بالحطب.. لكن من الواضح أنه لم يعد مستخدماً مع وجود طباخ كهربائي إلى جانبه.. حتى الآن، المطر والغيوم المعتمة فوق الرؤوس جعلت من الصعب عليها رؤية وجهه بالتفصيل، ما عدا وجه قوي، وأنف كبير معقوف كأنف النسر، وذقن مربع.

قال وهو يفتح الباب للغرفة المجاورة المضاءة كهربائياً.

ـ المناشف في غرفة جداي، بإمكانك تجفيف نفسك هناك.

بينما اتجه إلى خزانة في أحدى الزوايا، ترددت دي عند العتبة، ونظرت إلى السرير المرتفع المزدوج، المغطى بمفرش ناصع البياض.

ـ ألن يمانعا إن غزت غريبة غرفتهما؟

رد مديراً ظهره لها:

ـ لم يعودا هنا.. جدي مات عندما كنت صغيراً، وماتت جدتي خلال هذا الصيف. لكن، لو كانا هنا لاهتما فقط بحالتك وراحتك. الجيل القديم في البلاد، أناس يسعدون دوماً بلقاء الغرباء والترحيب بهم.

أغلق باب الخزانة واستدار نحوها وهو يحمل كدسة من المناشف.. لأول مرة شاهدته وجهاً لوجه تحت نور المصباح المتدلي من السقف.

لاحظت من وجهة نظر فنية بحتة أن عدداً من الوجوه اليونانية أبهجت نظرها.. لكن أحداً منهم لا يشبه الوجه الأسمر الداكن المبلل لمنقذها.

لم يكن شاباً كما ظنته.. قسوة جسده الرجولي قادتها إلى الظن أنه يقارب سنها.. لكنها الآن ترى أنه أكبر منها.. ربما في الثلاثين أو الخامسة والثلاثين. ولم يكن، للحق، وسيماً.. بل الواقع أنه غير وسيم أبداً. مع ذلك فقد كان الأكثر جاذبية بهاتين العينين الغريبتي التلوين، الرماديتين والمذهبتين، وذلك الفم العريض المرح.

رمى بعدة مناشف إلى السرير وقال:

ـ لا يوجد ملابس نسائية أقدمها لكِ، لذا عليك أن ترتدي شيئاً من ملابسي.. سآتيك بها بعد دقائق. أول ما يجب أن تفعليه هو أن تجففي نفسك تماماً.

غادر الغرفة بعد هذه النصيحة.

إحدى المناشف كانت كبيرة بما يكفي لأن تلف نفسها بها على شكل «ساري». بعد هذا استخدمت المنشفة الأصغر فلفت شعرها لتمنع نقط الماء من الانسياب.. بالمنشفة الثالثة جففت قدميها الباردتين.. الإصابات في يديها منعتها من القيام بهذا بكفاءة ومن تدليك قدميها جيداً طلباً للدفء.

كان الرجل أسرع منها بكثير، وبعد أن جففت قدميها وأوشكت على البدء بشعرها قرع الباب ودون انتظار كلمة «أدخل» ظهر في بنطلون جينز جاف، لكن لا شيء يغطي نصفه العلوي.

ـ إذا كانت يداك تؤلمانك، فالأفضل أن تدعيني أساعدك بتجفيف شعرك.. كم هي سيئة القروح؟ أرني إياها!

أدارت له راحتي يديها بطاعة ليتفحصها.. عادة كانت تضع عدة خواتم، بما فيها ذلك الخاتم الذي أهداه لها توم يوم طلب يدها. كلاهما كان من برج الجوزاء، الخاتم الذي اختاره لها كان رمزاً حديثاً للتوأم الكواكبي.. لكنها في ذلك الوقت لم تكن ترتدي منها شيئاً، أصابعها خالية، فهي لا ترتديها سوى في الأمسيات.. لم تكن تحب

الحليّ على الشواطىء.

كان الرجل الذي تعمل له في لندن يصر على أن يكون لكل وجه من أوجه الحياة ذوقه، مهما كان تافهاً.. وكانت دي توافقه الرأي، تتمسك بكل التفاصيل الصغيرة. وها هو الآن إحساسها الدقيق بالتفاصيل يتركز على الرجل إلى جانبها، ولاحظت أن يديه أيضاً خاليتين من الخواتم كذلك، ليس فيهما خاتم زواج عريض كعادة الرجل المتزوج في اليونان، ولا أي من الخواتم المزخرفة التي شاهدتها في المحلات في «غايوس».

ـ همم.. لا أظن أن الوقت سيطول على شفائهما. مسحوق مطهر وشاش جاف أفضل علاج لهما. اجلسي على السرير، ولسوف أجفف لك شعرك جيداً.

ذكرها بتجفيفه بالتجفيف الشديد الذي كانت جدتها تطبقه على كلبها عندما كانت صغيرة.. ما إن انتهى، حتى كانت محمرة الوجه مشعثة، ومقطوعة الأنفاس.

ـ شكراً لك.. أوه.. يا إلهي.. ما هذا الغباء مني! لقد تركت حقيبة الشاطىء في المركب.

ـ لن أعرض عليك أن أجلبها الآن لأنها آمنة حيث هي، ولا شك أنها مبللة تماماً. إذا كنت تبحثين عن مشط بإمكانك استخدام مشطي.

خرج ثم عاد بمشط نظيف رائع من بيت السلحفاة. ولاحظت أن يديه نظيفتان ناعمتا الملمس، لا أظافر مكسورة أو أصابع صفراء متسخة مثل معظم صيادي السمك.

ربما كان أحد سائقي التاكسيات الكثر في الجزيرة، حيث أكمل إتقان إنكليزيته بتبادل الحديث مع السائحات الثرثارات.

ـ بينما تمشطين شعرك وتكملين ارتداء ملابسك، سأذهب لأسخن بعض الحساء.. فأنا لم أتناول طعاماً منذ الصباح، وقصعة حساء

ساخن لن تضرك بعد البلل الذي أصابك.

تفحصت الملابس التي قدمها لها. كانت تحتوي على بنطلون أبيض قصير وقميص قطني بلون المرجان القاتم. ووجدت أيضاً حزاماً مطاطياً ليتكيف خصر البنطلون مع مقاسها.. لم تكن قد سرحت شعرها منذ وصولها إلى باكسوس كما كانت تفعل كل صباح وهي في لندن.. بل كانت هنا تلفه خلال النهار، أو تتركه منسدلاً على كتفيها بعد حلول الظلام.. لحسن الحظ كانت رموشها وحاجباها أكثر اسواداً من شعرها، لذا لم تكن عيناها تتأثران كثيراً دون ظلال، وكانت عيناها كبيرتين لونهما أزرق قاتم. جمالها موروث من أمها الحلوة «تشينا كاربل» الاسم الذي كاد يُنسى الآن، لكنها كانت من أوائل الممثلات البريطانيات الناجحات في المسلسلات التلفزيونية.. أمها ووالدها ماتا في كارثة طيران حين كانت ابنتهما في السنة الأولى من عمرها. لكن، لحسن الحظ، كان والدا لوك تشايمير، سعيدين لرعاية حفيدتهما.

بقيت دي منزوية، بعيدة عن الانغماس في المغامرات العاطفية، بسبب تربيتها المتزمتة، وبخلاف عدد كبير من صديقاتها قررت أنه من الحكمة أكثر انتظار الحب الحقيقي.. وكذلك كانت تعي أن جديها سيتألمان كثيراً لو اكتشفا أن لها علاقة جادة بشاب.

في البداية، ربما هذا ما جذب توم إليها، وبدأ يشاركها محبتها واحترامها لجديها وهما الشخصان العجوزان اللطيفان، اللذان يعيشان بمقاييس لم يكن لها مثيل في عائلته. كان يعرف أنهما يثقان به، كي لا يتمادى أكثر من الحدود المسموح بها بين خطيبين في مثل سنهما اليافع.. وفي نفس الوقت كان ينزعج من عدم وجود مكان ينفرد فيه مع خطيبته.

لكن، وقبل حلول الصيف، مات. ومنذ ذلك الوقت بقي قلبها

وجسدها دون إحساس.. هي الآن في الثالثة والعشرين بدون مشاعر.. لكنها الآن، وعلى حين غرة، ولأن غريباً طويلاً قوي البنية حملها بين ذراعيه، أحست أنها متأثرة بطريقة كادت تنساها.

ما إن فتحت الباب، ورأته يقف قرب الطباخ، حتى وجدت نفسها تفكر.. ماذا ستشعر لو أنه عانقها؟ صدمتها الفكرة وأخافتها.. ما الذي دهاها لتفكر برجل لم تقع عيناها عليه إلا من نصف ساعة؟

قال: الحساء يكاد يجهز.. اجلسي.

رأت أنه وضع مفرشاً على الطاولة وحضر الملاعق والسكاكين، والمحارم الورقية، مع كأسين زجاجيين من النوع الرخيص. كان على الطاولة كذلك رغيف خبز، وإبريق شاي، وطبق من الزيتون الأسود.

ـ هذا حساء السمك صنعته المرأة التي تنظف وتغسل لي، وأنا هنا لوحدي.

ووضع قصعة حساء أمامها.. فقالت:

ـ تبدو لذيذة.

وكانت فعلاً لذيذة، إضافة إلى وجود قطع من السمك فيها، كان الحساء سميكاً بقطع من البطاطس، واللوبياء والبصل وقطع من الفلفل الأخضر. كلها ممزوجة معاً، ومبهرة بالفلفل الناعم والثوم.

قطع الرجل اليوناني شرائح سميكة من الخبز وقدم لها واحدة على طرف السكين.

ـ لا يوجد لدي سوى عصير البرتقال في المنزل، فهل تتناولين منه شيئاً؟

ـ شكراً لك، نصف كوب لو سمحت.

كانت قدماها ما زالتا باردتين وأكل الاثنان صامتين، ولم ترغب أن تسأله ما إذا كان لديه جوارباً تستطيع استخدامها، قبل أن ينهي طعامه. لحسن الحظ القروح في راحتي يديها لم تجعل من الصعب عليها أن

تأكل أو تشرب، لكن أي نشاط لها يتطلب بسط يدها كان يؤلمها.

سألها بهدوء:

ـ ما اسمك، وأين تقيمين؟

ـ اسمي ديانيرا تشايمير وأقيم في «الوغوس». ما اسمك؟

كان يرفع ملعقته إلى فمه، وابتلع لقمة كبيرة من الحساء قبل أن يرد:

ـ كاسبار.

ـ اختصار كاسبيروس؟

ـ أجل.

لاحظت أنه يستمر بالتفرس بها، فأشاحت نظرها عنه فقال متسائلاً:

ـ الوقت متأخر في السنة لإجازة تأخذها معلمة مدرسة.. فهل أنت ممرضة ربما؟

هزت رأسها:

ـ أنت بعيد جداً عن الهدف.. فأنا مصممة ديكور داخلي.

في حال لم تتضح له طبيعة عملها، أضافت:

ـ أساعد الناس على ترتيب بيوتهم وفرشها بالأثاث.. الناس الأثرياء الذين لا وقت لهم، ولا ميل، ولا ذوق، للقيام بهذا بأنفسهم. لكنني لم أصبح مصممة أمارس المهنة بنفسي بعد. في الوقت الحاضر أعمل لمصمم شهير يحتاج إلى فريق من المساعدين كي يتمكن من إكمال مهماته.

ـ إذن، فالزبائن يدفعون مبالغ كبيرة ظناً منهم أنهم يشترون أفكاره؟.. لكن ما يحصلون عليه حقاً هو أفكارك أنت، وهو من يحصل على الحصة الكبيرة؟

وارتسمت على فمه نصف ابتسامة ساخرة.

أوه.. يا إلهي هل هو «أحمر» متطرف؟ أم أحد المشاكسين المملين الذين يحولون كل حديث إلى محاضرة سياسية؟

أجابت بحزم:

ـ لا، ليس الأمر هكذا أبداً. عادة يتشاور كل زبون شخصياً مع كونل في البداية، وهو من يضع الخطوط العامة.. نحن فقط نتعامل مع التفاصيل والعمل الشاق. مع أن هذه طريقة سيئة لوصف العمل، فهو عادة ممتع جداً.. ماذا تعمل لكسب معيشتك؟

ـ لقد عملت في مجالات كثيرة، بإمكانك تسميتي «صاحب المهن السبع».. في الوقت الحاضر، أنا مثلك، في إجازة، أتريدين المزيد من الحساء؟

ـ لا، شكراً لك.. لقد تمتعت حقاً، لكنني لا أقدر أن أتناول لقمة أخرى.. أين تعلمت إنكليزيتك المميزة؟ أنا أتحدث القليل من الفرنسية، لكنني لا أعرف ما هو معنى تعبير «صاحب المهن السبع»، بينما عرّفتها أنت بالإنكليزية دون لكنة لكلامك حتى.. إن من يسمعك سيظنك رجلاً إنكليزياً.

ـ اليونانيون، كالألمان، إذا أرادوا التعامل مع الأجانب أتقنوا لغاتٍ عدة، لأن قلة من الناس من يتكلم لغتهم.. ولقد سنحت لي فرصة العيش في انكلترا.. لكن أعتقد أن لدي لكنة خفيفة إن أصغيت جيداً.. ويجب أن أجهد أكثر للخلاص منها.

ـ ولمَ المحاولة ولها ميزة خاصة؟

ـ ميزة خاصة؟

ـ مع النساء.. اللكنة الأجنبية تصرع النساء.. لو كنت مكانك لأبرزتها أكثر، لا أن أحاول الخلاص منها.

ضحك مظهراً أسناناً رائعة، ثم ضاقت عيناه قليلاً، ووضع مرفقه على الطاولة ومال إليها:

ـ وهل تصرعك لكنتي؟

أظهر اللكنة متعمداً في كلامه مع أنها لم تلاحظها قبلاً. أحست دي أن دقات قلبها تتسارع.. هذه المرة لم تقدر أن تبعد نظرها عنه، عيناه الرماديتان الذهبيتان أسرتا نظرها ولم تفارقاه.

شعرت بإحساسين.. الأول إنها في حقل من التجاذب بشكل أقوى مما جذبها توم.. الثاني ان الرجل الجالس إلى الجهة الأخرى من الطاولة يمكن أن يكون يحاول العبث معها.. أن يقودها إلى موقف أصعب بكثير من محنتها في البحر.

وهي تبحث متلعثمة عن رد، نهض فجأة عن الطاولة، مما جعلها تنتفض مجفلة إلى الوراء.. وقبل أن تستعيد رباطة جأشها، كان قد ابتعد إلى مغسلة ليملأ غلاية ماء من الأنبوب. لكنها أدركت أنه انتبه لحركتها هذه، بعد أن وضع الغلاية على النار نظر إليها وقال بسخرية:

ـ لا حاجة للتوتر آنسة تشايمير، ولكي أستشهد بتعبير إنكليزي آخر أقول: أنت لم تنجي من أعماق البحر، لتجدي نفسك تتعشين مع الشيطان.. نواياي نحوك بريئة تماماً، أؤكد لك.

تمتمت: أنا.. أنا لم أشك أنها ليست كذلك.

رد بخشونة: أعتقد أن هذا مر بخاطرك، وهو أمر طبيعي جداً.. فهذا مكان منعزل، وأنا غريب، فلماذا تثقين بي؟

مهما كانت نواياه، فالنظرات التي يرمقها بها كانت تقول إن التجاذب الذي أحست به لم يكن من جانب واحد فقط.. ربما سيسعى إليها في «لوغوس» مع أنه لم يبق من عطلتها سوى خمسة أيام.

قال كاسبار: سأصنع قهوة فورية، فيما بعد سأعتني بقروح يديك وأضع لها الرباط، ثم بإمكانك أن تستريحي بينما أنزل إلى تحت لأرى ما يمكن أن أفعله لإصلاح محرك مركبك.. إن حلّ الظلام قبل أن أصلحه، سآتي به إلى هنا لكي أصلحه.

ـ ألن يكون من الأسهل إيصالي إلى لوغوس في مركبك، ولندع صاحبه يهتم بأمره؟ من الطبيعي أن أعوض لك ثمن الوقود الذي ستستخدمه.

ـ لا تحاولي أن تكافئي أحداً من أهل باكسوس بالمال وهو يحاول مساعدتك للخروج من المتاعب فهذا يتسبب بإهانة بالغة لهم.

ـ أنا آسفة.. لم أقصد إهانتك.. لكن يبدو أنني أسبب لك متاعب جمة.. وأنا واثقة أن لديك أعمالاً أكثر أهمية تقوم بها هذا المساء بدل الانشغال بمحرك مركبي.

ـ بالعكس العمل بالمحركات عملٌ أتمتع به، ونادراً ما تتاح لي مثل هذه الفرصة.. إذا لم يكن مالكه يهتم به جيداً فلسوف يخذلك مرة أخرى، حتى في طقس جيد. من المزعج جداً تعطل المحرك الخارجي.. وبكل تأكيد لن تستطيعي التجذيف مع هذه القروح.

ـ لا.. لكن.. لا بأس إن كنت لا تمانع.

أحضر علبة إسعاف أولية كاملة التجهيز واعتنى بيديها بكفاءة، تساءلت عندئذ ما إذا كان طبيباً وإن كان فعلاً فلماذا لا يقول؟

وماذا يهم على أي حال؟ لم تتصور نفسها متكبرة يوماً، إلا أن شعوراً ما في نفسها منعها من تخيل نفسها مع رجل خلفيته الاجتماعية تختلف تماماً عن خلفيتها لمجرد أنه جذاب لا يقاوم.

على أي حال، عندما اقترح عليها أن ترتاح في سرير جديه عند نزوله إلى المرسى لم تعترض أو تتردد، فقد كانت فعلاً تشعر بإرهاق غير عادي.

بعد أن راقبته يسير مبتعداً وهو ينزل التل، غسلت الأطباق القليلة التي استخدمت للعشاء، ثم رفعت الغطاء الأبيض النظيف، واستلقت على الفراش حيث أمضت جدته ليلة زفافها، وولدت أطفالها، وماتت.

استيقظت بتنهيدة ارتياح، تظن بادىء الأمر أن الذراعين اللتين تحتضنانها هما ذراعي توم. . لقد كان جزءاً من الكابوس. . ومضت عدة دقائق قبل أن تعرف أن الصوت الرجولي المهدىء لم يكن صوته، لكن صوت عرفته، ولم تستطع تحديده بعد.

تعلقت بمن كان يحضنها مرتجفة، ومرتبكة، لا يزال رعب حلمها يتملكها، توسلت:

ـ أوه. . أرجوك كن حذراً. .

ـ أنا دائماً حذر. . ما المشكلة ديانيرا؟

ـ المياه عميقة. . وهناك أسماك قرش هنا. .

ثم استفاقت تماماً، وعرفت أين هي وبين ذراعي من.

ـ أوه. . كنت أحلم. . أنا آسفة.

ـ لا حاجة للاعتذار. . الكوابيس تساور الجميع.

استمر في ضمها إليه.

انتظمت أنفاسها، وتنهدت مسترخية، تعرف أنها آمنة من الرعب الذي أيقظها على أنه حقيقة.

ـ هل كنت أصرخ؟ كنت أفعل هذا أحياناً. . عندما كنت صغيرة.

ـ واضح أنك كنت تصرخين في حلمك. لكن الأصوات التي كانت تُسمع منك كانت شبيهة بالأنين. . ولو لم أترك الباب مفتوحاً بعد مجيئي لأتفقدك لما سمعتك.

ـ كم الساعة الآن؟ هل القارب جاهز؟

ـ أجل. . لكن عندما رأيتك نائمة دون حراك، لم أشأ أن أوقظك. على أي حال لا أنصحك أبداً بالعودة في الظلام، حتى مع وجود نور القمر. ولو لم تكوني نائمة، لجررت مركبك. . لكن، والحال هكذا من الأفضل أن تبقي هنا حتى الصباح.

ـ حتى الصباح؟

ـ لا تقلقي، لن يثير غيابك الذعر في القرية، لقد أرسلت خبراً بأنك سالمة ولن يحتاجوا للتفتيش عنك.

ـ أرسلت خبراً؟ كيف؟

ـ بالهاتف. . هناك هاتف في المطعم على بعد نصف ميل من هنا. . كتبت رسالة أوصلها أحد أبناء الجيران إلى صاحب المطعم، الذي اتصل بأخيه في «لوغوس» والذي بدوره أبلغ صاحب المركب، والمرأة المسؤولة عن شقتك.

ـ لكن، كاسبار، لا أستطيع قضاء كل الليل هنا!

ـ ولمَ لا؟ ألأننا وحدنا؟ لا داعي للقلق. . لن يطلق هذا الألسنة بالأقاويل في لوغوس، إذا كان هذا ما يقلقك. . كانت الأقاويل تنتشر قبلاً لكنها اليوم لم تعد كذلك. .

ـ لكنك قلت إنك تستخدم هذا السرير وإن الآخر غير مريح.

ـ لن يضيرني أن أقضي ليلة فيه. . فأنا يكفيني وقت قصير للنوم عكس معظم الناس. أربع أو خمس ساعات تكفيني. . ولهذا كنت أقرأ في الغرفة المجاورة عندما صرختِ. . عودي إلى النوم الآن ديانيرا. . وما إن يطلع الفجر، سأوقظك. . وسيكون أمامك منظر رائع لشروق الشمس، وستعودين إلى شقتك في الوقت المناسب لتفطري فطوراً مبكراً.

ـ أنا. . لا أعرف ما إذا كنت أستطيع النوم مجدداً. كم مضى عليّ وأنا نائمة؟

ـ حوالي الست ساعات. . كانت الساعة تقارب السابعة عندما تركتك، وهي الآن بعد الواحدة بقليل. . لكن بعد الرعب الذي مررت به، ستحتاجين إلى نوم إضافي.

ـ حقاً؟

كان لا يزال يحتضنها باسترخاء. . طوال وقت كلامهما معاً كان

يزداد إحساسها بقوة ذراعيه.

بدا لها وكأنه أحد آلهة الإغريق، وسرت في أوصالها قشعريرة. بدا لها أن أنفاسها تحشرجت.. وفي نفس الوقت أحست بنبضات قلبه تتغير لتصبح أقوى وأسرع.

رأت رأسه ينحني نحوها، دون أن تجد القدرة لمنعه.. قبل أن يعانقها، كانت قد أغمضت عينيها بارتياح صامت.

ثم، وعلى حين غرة، اشتدت الذراعان حولها، وأحست بنبضات قلبه تخفق بقوة بين ضلوعه.

انتزعت نفسها منه:

ـ لا.. لا..

لكنه كان مجرد احتجاج كلامي، عرف كاسبار هذا، وعاد إلى ضمها.

وعرفت دي أن هذا جنون.. لكن سيطرت عليها مشاعر طال كبتها بشكل غير طبيعي..

***

٢ ـ لو كانت أكبر

فجأة توقف كاسبار، وتمتم بكلمات يونانية بدت غاضبة ونافدة الصبر.. واستوى جالساً وهو يمرر أصابعه في شعره الكثيف المتجعد، ويهز رأسه وكأنه يحاول أن يجليه.

قال بصوت أجش:

ـ أنت محقة.. لا يمكنك البقاء هنا.. تعالي، سأعيدك إلى «الوغوس».

وقف واتجه إلى الباب وفتحه على مصراعيه بحيث حدد النور الكهربائي القادم من الغرفة المجاورة معالم جسده الطويل، والتفت إليها.

كانت دي عندما تركها غير قادرة أن تتكيف مع الانخفاض الحاد لحرارة المشاعر.

قال كاسبار بحدة:

ـ تعالي ديانيرا.. فلست «سوبرمان». لو بقيت هكذا فقد أغيّر رأيي. انهضي يا فتاتي الطيبة.

سار في المطبخ إلى المغسلة الحجرية حيث أدار حنفية الماء وانحنى يضع كلتا يديه تحت الماء البارد، ثم يرشه على وجهه.

أما هي فكانت مرتبكة وتشعر بدوار، كافحت لتجلس وحملت حذاءها الأخضر الذي كانت ترتديه اتقاء الحصى البلورية على

www.elromancia.com

الشاطىء إلى الغرفة الأخرى، وجلست لترتديه وتشد أحزمته.

قال كاسبار:

ـ الهواء بارد في البحر في مثل هذا الوقت من الليل، ستحتاجين سترة.. سأحضر لك واحدة.

تجاوزها مختفياً.

كانت حقيبتها القش على الطاولة ولم تكن حالتها سيئة كما توقعت، مررت المشط في شعرها ترتبه، فشعرت بيديها ترتجفان. لقد وعت أنها تصرفت كالغبية، بل أسوأ من غبية.. ماذا سيظن بفتاة كانت راغبة في غريب؟

عاد مع كنزتين، إحداهما كحلية مخططة. الأخرى كانت رمادية، ناعمة الحياكة، ليست مخصصة لارتدائها خلال العمل، وأعطاها لها.

ـ شكراً لك.. هل هناك.. مرحاض، أستطيع استخدامه قبل أن نخرج؟

ـ هناك مرحاض ولكنه ليس موجوداً في أسفل الحديقة.. لدينا مرحاض داخلي، ولو أنه غير مناسب تماماً.. في ضوء الاهتمام بتوفير الماء، لا يستخدمه أهل باكسوس كثيراً. فلا تكثري من استخدامه.. ما رأيك بهذه الأوامر؟

ابتسامته جعلتها تبتهج قليلاً.. وكأن الذي حدث في غرفة النوم لم يكن أمراً مخجلاً. إنها لم تحاول إغواءه على أي حال.. فليس ذنبها أنها رأت كابوساً. وما جرى بعد هذا، لم يكن من صنعها، لكن من صنعه هو.. لكن كل هذا لم يغير من القناعة التي غرستها جدتها في نفسها بأن السيطرة على المشاعر في موقف عاطفي كهذا، تقع على عاتق الفتاة وليس الرجل.

في سكون الليل المضيء، كان البحر هادئاً وكأن العاصفة لم تكن.. صوت تشغيل المحرك كان أقوى مما كان عليه في ضوء

النهار.. وبقاربه المطاطي مقطور في المؤخرة انطلقا في مركبها نحو «لوغوس».

كانت الجزيرة لجهة اليمين مغطاة بأشجار الزيتون، هنا وهناك ترتفع أشجار الصنوبر الباسقة كالرماح، إلى الشمال، الصخرتان الضخمتان ترتفعان من الماء فتؤلفان أرخبيلاً مغطى بالشجيرات الشائكة. إلى الشرق، الصخور والجبال العالية للأرض الرئيسية كانت مظلمة، غير مرئية بوضوح على مسافة بعيدة.

قال كاسبار: مركب شراعي أفضل. صحيح أن المحركات قد تكون مريحة، لكن في ليلة كهذه تكون مزعجة جداً.

هزت رأسها موافقة دون أن تنظر إليه. فأكمل:

ـ من المؤسف أن تربطي شعرك إلى الوراء.. فمن الأشياء التي أحب أن أراها، شعر فتاة يتطاير في الهواء.

كان في لهجته نبرة خفيفة من السخرية.

طريق العودة لم تستغرق طويلاً، سرعان ما قطعا الخليج حيث مكان سباحتها خلال الأسبوع المنصرم، ثم استدارا حول النتوء الصخري لتظهر من خلفه لوغوس ببيوتها البيضاء وسقوفها القرميدية، معظمها الآن دون أنوار لأن أصحابها نيام، ما عدا أصوات الديوك التي لا تسجل وصول الصبح فقط في باكسوس، بل تصيح طوال الليل.

قال كاسبار: عندما كنت صغيراً كانت هذه الواجهة البحرية مضاءة بمصابيح زيتية.

أوقف المحرك، فتهادى المركبان المربوطان معاً نحو فسحة بين صف المراكب الراسية في مواجهة فم الميناء.

ـ ابقي حيث أنت، لكن تحركي جانباً قليلاً.

نفذت دي ما قاله لها، فأراح يداً على كتفها وهو يخطو بخفة من أمامها، فوصل إلى المقدمة في الوقت المناسب لمنع المركبين من

الاصطدام بقوة على حافة الرصيف.. في لحظات، وقف على اليابسة ويده ممدودة لمساعدتها على اللحاق به.

قال بهدوء قبل أن تشكره وتودعه:

ـ سأوصلك إلى باب شقتك.

ـ أرجوك لا تزعج نفسك.. المكان ليس بعيداً ولن يعتدي عليّ أحد في لوغوس.

أخذ سلتها من يدها:

ـ لا.. لكنني أفضل أن أوصلك.

بيده الأخرى أمسك مرفقها بحزم وخفة.

الشقة التي كانت تقيم فيها تقع في الطابق الأعلى من مبنى مرتفع مبني على سفح شديد الانحدار بين ممرين، أحدهما يوصل إلى جناح دي، والآخر إلى الطابق الأسفل، استأجرته من صديق لها منذ أيام الدراسة في معهد الفنون، اشترى المبنى كله كمنزل للعطلات.

الشقة كانت مؤثثة بشكل جذاب.. تتألف من غرفة كبيرة مع سريرين موضوعين في زوايا صحيحة، وطاولة صغيرة في الزاوية بينهما.. خلال النهار يتحول السريران إلى صوفتين بوجود الوسائد الكثيرة.. مطبخ صغير، وغرفة للاستحمام مكتملة بكل التجهيزات، وشرفة تطل على منظر من فوق للقرية والمياه.

عند أعلى السلم طلبت حقيبة القش التي كانت تحتوي على مفتاح كبير قديم الطراز يُفتح به الباب. وهي تضعه في القفل قالت:

ـ إن انتظرت قليلاً، فسوف أعطيك ملابسك.

ـ لا أحتاجها الآن.. سآخذها في المرة القادمة عندما آتي.. فأنا أشتري كل ما أحتاج إليه من «لوغوس».

ـ قد لا أكون في المنزل حين تأتي.

ـ أتركيها إذن مع الخادمة.. أين تعيش؟

ـ في الكوخ أسفل السلم.. حسناً، هذا ما سأفعل.. وداعاً الآن وشكراً جزيلاً لك لمساعدتي ولإصلاح المركب.

مدت دي يدها في إشارة رسمية على الوداع وأطبقت أصابع كاسبار السمراء البنية على أصابعها، يضغط عليها بسرعة وحزم.

ـ تصبحين على خير ديانيرا.

وسار بسرعة إلى الدرج حيث رفع يده مودعاً، واختفى.

دخلت الشقة وأقفلت الباب خلفها، ثم وضعت حقيبتها على كرسي، ودون أن تضيء الأنوار سارت حتى الأبواب الزجاجية الموصلة إلى الشرفة. كانت الأبواب هي المتنفس الوحيد للغرفة، وكانت تتركها مفتوحة طوال الوقت.. كان البساط المحبوك يدوياً عند العتبة رطباً عندما تحسسته، غير هذا لم تسبب العاصفة بأي ضرر وسيجف البساط عندما تشرق شمس الصباح..

حيث تقف على الشرفة كان منظر المرسى واضحاً. لقد ودعته.. وقال هو تصبحين على خير.. أيعني هذا أنه يتوقع رؤيتها مجدداً؟ ربما لا.. وربما اختياره للكلمات ليس له معنى مميز.. وبالتأكيد سيكون من الأفضل أن لا يتقابلا مجدداً.. فلن تتمكن من مواجهته دون الإحساس بالحرج.

لمحت طيفه وهو يتحرك بخطوات رشيقة، ووراءه ظل طويل فوق الأرض المضاءة بنور القمر.. استخدم قاربها كجسر يصل منه إلى مركبه وفك حبل الجرّ، لكنه لم يُدِرْ المحرك، بل ابتعد مجذفاً.

بعد أن اختفى عن نظرها، بقيت مستندة إلى سياج الشرفة تراقب القرية الهادئة المطمئنة.. والمطحنة الهوائية الخربة في أعلى الرأس الصخري المطل على البحر إلى الشمال من الميناء.. كانت تستدير لتوها إلى الداخل حين سمعت صوت دوران المحرك الصاخب يتحول بالتدريج إلى هدير مكتوم، إلى أن ضاع صوته تماماً.

دخلت، وهي لا تشعر برغبة في النوم. خلعت الكنزة والقميص.. لاحظت العلامة في مؤخرة الياقة.. كان القميص من صنع هيلدتش وكاي، أشهر صانعي القمصان في لندن.. محتارة، نظرت إلى علامة الكنزة، لتذهل أكثر لرؤية أنها من محلات «بيل» أحد أغلى محلات التسوق في لندن.

خلعت الشورت الكتاني الأبيض.. علامته تدل على أنه من صنع «سان لوران ريف غوش»!

كي يتحمل ثمن مثل هذه الملابس الفاخرة لا شك أن كاسبار، في وقت ممارسته «المهنه السبع» كان يكسب الكثير من المال.. إلا إذا، وهذه فكرة بغيضة، كانت هدية من امرأة ثرية.

رفعت غطاء سريرها إلى الوراء، وفتحت حقيبة تحتوي على وسادة خاصة بها وثوب نومها، ثم ذهبت ونظفت أسنانها واغتسلت.

مع أن الساعة كانت قد تجاوزت الثانية صباحاً عندما استلقت في السرير إلا أنها لم تغفُ قبل وقت طويل.. كانت لا تزال تحس بعناق كاسبار.. هل كانت تحس بنفس المشاعر مع توم؟ لقد مضى زمن طويل على هذا لتتذكر مشاعرها بالضبط، وكانت صغيرة جداً، فتاة حالمة في التاسعة عشر من عمرها..

استفاقت باكراً جداً، وعندما سطع النور جيداً سارت صعوداً في طريق التل، ومرت بأحد أكبر منازل القرية، وبتلك الصنوبرة الرائعة الضخمة في حديقته، لتسبح قبل الفطور في الخليج الصغير في الجانب الآخر من الرأس الأرضي الناتيء.

في طريق عودتها من الشاطيء توقفت عند المخبز واشترت رغيف خبز طازج ساخن.. في المنزل، وبعد أن غسلت شعرها، غسلت قميصها وقميص كاسبار. وما إن يجفا سوف تكويهما.. صنعت لنفسها إبريق قهوة وتناولت فطوراً مؤلفاً من الخبز الطازج والزبدة

والعسل، وهي تجلس على الشرفة تحت الشمس في ثوب السباحة.

جاءت غابريللا مبكرة ذلك الصباح، من الواضح أنها كانت متشوقة لسماع مغامرة دي، ولأجل هذا أحضرت صديقتها ماورا معها فهي تتكلم الإنكليزية قليلاً.

سألتهما دي بعد أن وصفت لهما ما حدث والوقت الذي عادت فيه:

ـ أتعرفان ذلك الرجل كاسباروس؟

بعد التشاور هزت المرأتان رأسيهما نفياً. وشرحت دي لهما أنه سيأتي في اليوم التالي ليأخذ ثيابه التي رتبتها وستتركها عند غابريللا. وهزت المرأتان رأسيهما، وأشارت غابريللا أنها سترشده كذلك إلى المكان الذي تسبح فيه «تيسبينس» تشايمير، لو أنه رغب في رؤيتها.. فقالت دي لماورا:

ـ لا.. لن أكون على الشاطيء.. سآخذ سيارة أجرة إلى «غاسيوس».

لا يوجد في لوغوس سائق تاكسي مقيم ولكن هناك واحد في «لاكا» وتقع في الطرف الشمالي للجزيرة ومن الممكن الاتصال به. عندما وصل، كان معه راكبان، وجلست دي في المقدمة، وسرعان ما كانت السيارة تسرع على الطريق الرئيسية للجزيرة.

عند دخولهم إلى «غايوس» دعاها الراكبان لتناول القهوة معهما في مقهى من مقاهي الرصيف الرئيسية في الواجهة البحرية.. ثم استقلا زورقاً سياحياً طويلاً، يأخذ الزوار لرؤية الساحل الغربي.

في أحد زوايا «البلاتيا» كان هناك محل يبيع الأزياء والذهب والفضة. وأمضت دي بعض الوقت منحنية فوق منصة عرض مليئة بالحلي الذهبية.. مؤخراً، كانت أماندا ديسموند، كبيرة المساعدين عند رب عمل دي، في الكويت، وذهبت خلال إقامتها إلى سوق

الذهب. . لقد أخبرت دي أن الصيّاغ هناك لا يتعاملون بمعدن يقل عن اثنان وعشرين قيراطاً، وينظرون باحتقار إلى الحلى الإنكليزية ذات التسعة قيراطات. ويبدو أن اليونانيين لديهم نفس النظرة، لكنهم يتعاملون بذهب عيار أربعة عشر قيراطاً. . عندما سألت عن ثمن سلسلة، وزنها البائع، وقدر الثمن على آلته الحاسبة.

كان لدى الصائغ عدة أشكال للدلافين، والبوم، والماعز، وكانت تتسوق لشراء خاتم على شكل رأس كبش بقرنين معكوفين. . لكن ما إن أعلمها الصائغ بالسعر حتى هزت رأسها أسفاً، وقالت إنها لا تستطيع تحمل ثمنه.

بعد نصف ساعة، وفي محل آخر، استسلمت لسحر فستان من القماش الرقيق بلون أزرق قاتم، بكتفين معلقين بخيوط مجدولة رفيعة. . وكان شراؤه غير ضروري أبداً نظراً إلى أن العطلة قد انقضى نصفها، والملابس التي أحضرتها معها كانت أكثر من وافية لحاجاتها.

بعد قضائها حوالي الساعة وهي تبحث عن هدايا صغيرة لأقرب صديقاتها، وفي استكشاف الشوارع الخلفية والأزقة، قررت أن تتناول شراباً آخر، قبل أن تجد طريقها إلى أقرب مكان للسباحة.

جلست تحت ظل أحد مظلات الشمس الملونة المنتشرة وكأنها الفطر الاستوائي في كل أرجاء «البلاتا» أي الواجهة البحرية، المتصلة بالمقاهي، طلبت كوباً كبيراً من عصير الفاكهة عندما فاجأها أحدهم بقوله:

ـ كاليميرا تسينس.

لو لم تتعرف على الصوت لظنت الكلمات موجهة لغيرها. . لكن للصوت رنة لا يمكن أن تخطئها. . قالت مقطوعة الأنفاس:

ـ كاليميرا كيري برنانوس.

ـ ساس إينوهلو؟

عرفت أن هذا سؤال، لكنها لم تعرف معناه.

ـ هذا ليس جزءاً مما تعلمته من قواعد اليونانية.

ـ سألت ما إذا كنت أزعجك.

أجبرها الأدب أن تهز رأسها نفياً، وردت بجملة بقيت عالقة في ذهنها خلال مراجعتها لكلمات أساسية وتعابير يونانية، في سفرها إلى كورفو.

ـ كاتيست. . باراكالو.

وقبل كاسبار دعوتها إلى الجلوس، ووصل الساقي بشرابها. .

تكلم كاسبار مع الساقي باليونانية، فهز الرجل كتفيه وتركهما. .

ثم قالت دي:

ـ ظننتك تشتري أغراضك من لوغوس.

ـ في معظم الأوقات. . لكن بما أن منزلي يقع في منتصف الطريق بين البلدتين، آتي أحياناً إلى هنا. . كيف تشعرين اليوم، هل استعدت قواك؟

ـ أجل. . شكراً لك. . لقد استعدت نشاطي كاملاً.

أشار إلى اللفافة التي تحمل فستانها الجديد:

ـ أرى أنك لجأت إلى العلاج الذي لا يخيب لكل الأمراض النسائية، والصداع وتحطم القلب. ماذا كنت تشترين؟

ـ فستان رخيص لا شيء مبالغ فيه.

ـ لا تحتاجين إلى المبالغة ولك هذا القوام الجميل. المرأة التي فقدت قوامها الرشيق تحتاج إلى كثير من المال لدعمه.

ـ جسدك متناسق، لكن يبدو أنك تصرف الكثير لدعمه.

قال بصوت له نبرة حادة: «ماذا تعنين؟»

ـ لاحظت العلامات على الملابس التي أقرضتني إياها، مع أنني أعتبر أجري مرتفعاً لكنني لا أتحمل أن أشتري من «سان لوران» أو

«بيرلنغتون اركاد».

بدا الانزعاج واضحاً في عينيه.

أحضر الساقي طلب كاسبار من العصير فشكره.. وبقي العبوس مسيطراً بين حاجبي كاسبار عندما قال:

ـ هذه الملابس أعطاني إياها رجل ثري كنت أعمل له العام المنصرم.

ـ أوه.. هكذا إذن.. إذن أنا أحلك من تهمة المبالغة.

لكن الشك في نفسها جعلها تفكر بأن تفسيره يبعد عن الحقيقة بطريقة ما.

راقبته وهو يحتسي شرابه.. ثم عرض عليها طبق الزيتون قائلاً:

ـ هذه المقبلات هنا لا تقارن بما يقدمونه في أثينا.. مع ذلك فاليونان لا ترضي الأذواق مثل المطبخ الفرنسي.. وهنا، في باكسوس الطعام دون المستوى بكثير، وليس هناك سوى أربعة أو خمسة أطباق للاختيار.

ردت دي:

ـ أعتقد أنك تبالغ في نقدك.. لم آكل الكثير من الطعام المحلي هنا بعد، لكن هناك الخبز الرائع والسمك الطازج والطماطم الممتازة، واللبن الرائب الكامل الدسم، ليس لدي شكوى على الطعام هنا.

ـ لو أنك جربت الطعام في «غايوس» لشكوتِ.. أفضل مكان هناك هو مطعم «دودو» حيث يقدمون البيتزا الجيدة، هناك مطعم ليس بعيداً عن هذا المكان هو «بان وتيو» في موغونيزي.

ـ سأتذكر هذا.

أن تشعر بالانكماش هو أمر منافٍ للعقل، رغم أنها قررت سلفاً أن تتجنب أي اتصال معه، ولقد جاءت إلى غايوس اليوم لتنفيذ هذا القرار.

وسمعته يكمل:

ـ لو أنك أكبر سناً بخمس سنوات، لأخذتك الليلة إلى «موغونيزي» وأعطيتك درساً في رقص «السيرتاكي». لكن، نظراً للظروف، لا أظن هذه فكرة جيدة.

ـ أية ظروف؟

ـ ديانيرا.. أنا في الثالثة والثلاثين، حياتي كانت صاخبة.. وأنت ماذا؟ تسعة عشر؟ ربما في العشرين.. وهذا ليس متوازناً.

احتست قليلاً من شرابها:

ـ لا.. هذا صحيح.

هل تبدو حقاً صغيرة إلى هذا الحد؟ ربما كان وجهها البني المرقط بالنمش على الأنف ودون زينة جعلها تبدو كفتاة في التاسعة عشر من عمرها وهو رجل في أوائل الثلاثين.. وسألت:

ـ ماذا تعني بحياة صاخبة؟

ـ ربما هذا الوصف مبالغ فيه.. لكنني بكل تأكيد أكثر خبرة منك بكثير.. حتى ولو لم أكن، يجب أن أفكر مرتين قبل انتهاك حرمة أملاك غيري.. فقبل أن تستفيقي من ذلك الكابوس المزعج في الكوخ ناديت اسم توم عدة مرات.. قد أكون مخطئاً، لكن لدي إحساس أن توم هذا هو سبب مجيئك في عطلة إلى هنا لوحدك.

كان محقاً نوعاً ما.. فلأنها فقدت توم وألزمت نفسها بالعمل بإخلاص عنيد، هي الآن هنا في باكسوس، وحدها.

قالت: أظن أن ما تسبب بذلك الكابوس، هي فقرة قرأتها في كتاب «دليل المسافر» كانت تحذر الناس من السباحة في مكان بعيد من البحر.. أذكر فقرة واضحة تقول: أسماك القرش نادرة جداً. لكن أسطورة القول إنها غير مؤذية، هذه الجملة كانت تتردد في ذهني وأنا أجذف في العاصفة، فيما بعد حلمت أن توم وأنا علقنا على الصخور

في الساحل الغربي وكان مصمماً على السباحة طلباً للمساعدة. وكنت أرجوه أن لا يحاول لحظة أيقظتني.

ـ وهل تحبينه؟

ـ كنت أحبه.. كنا سنتزوج لكنه قتل في حادث سيارات جماعي على الطريق العام.

في المناسبات النادرة التي كانت تضطر فيها أن تشرح أمر توم، كان رد الفعل العادي نظرة إحراج، وتعبير مرتبك مشفق، ثم تغيير الموضوع.

لكن رد فعل كاسبار مختلف.. مد يده إلى يديها ومال نحوها يضغط عليهما بين يديه الضخمتين.

ـ أيتها الصغيرة المسكينة! هذا شيء فظيع يحدث لك في مثل سنك.. لا عجب أن لك نظرة المحرومة.

سألت بارتباك: «صحيح؟»

ـ ليس دائماً.. لكن عندما لمحتك وأنت تتجولين في البلدة في وقت سابق، كنت تبدين محرومة.. ولا أظن المجيء في عطلة وحدك فكرة صائبة.. أليس لديك صديقات؟

ـ لم تكن أية واحدة منهن تتوافق مواعيد عطلتها مع عطلتي. وأنا لا أمانع أن أكون وحدي.. يعجبني الحال هكذا.

مرّ الساقي، فطلب كاسبار الحساب. طلبت دي أن تشارك في الدفع. قال: لا تكوني سخيفة!

مدت يدها إلى أغراضها وقالت:

ـ شكراً لك لتعريفي إلى المقبلات اليونانية.. ملابسك موجودة مع غابريللا تستطيع استعادتها عندما ترى وقتك ملائماً. وداعاً.

وقف بدوره، وأحنى رأسه كي ينتصب في وقفته تحت المظلة.

ـ إلى أين ستذهبين الآن؟ هل ستعودين إلى لوغوس؟

أشارت نحو الميناء:

ـ لا.. سوف أتمشى هناك، وأجد لنفسي مكاناً أستحم فيه قبل الغداء.

ـ الخليج الأول لا يبعد سوى بضع دقائق سيراً.. وهناك مطعم فوق الخليج الثاني حيث يمكنك الحصول على وجبة مقبولة.

ـ حقاً؟ أوه.. عظيم.. باي.

بدأت السير، ثم وباندفاع فوري استدارت نحوه:

ـ على فكرة.. أنت لست حكماً جيداً على أعمار النساء.. كنت في التاسعة عشرة يوم مات توم، لكن هذا كان منذ وقت طويل.. وأنا الآن في الرابعة والعشرين.

دون انتظار معرفة كيف تقبل هذا، أكملت سيرها بسرعة على طول الممر ما بين صفي الطاولات.. ثم استدارت نحو الواجهة الساحلية.

لماذا باحت له بعمرها الحقيقي؟ ألن يفهم هذا كدعوة مبطنة له أن يضع وساوسه جانباً وينظر إليها كصيد قانوني؟ وإن نظر إليها هكذا هل سيكون مخطئاً؟

طوال وقت سيرها، كان الناس على الدراجات الهوائية والنارية يتجاوزونها بسرعة في الاتجاهين.. فرصيف الميناء كان في نفس الوقت الطريق الرئيسية.. لذلك فصوت دراجة نارية صغيرة لم يلفت انتباهها حتى عندما توقفت أمامها.

لم تستدر إلا بعد أن قال كاسبار بشير إلى تمثال رجل، يحمل شيئاً كالمشعل، على مدخل الميناء:

ـ هذا «اينمويانيس» البحار الذي أشعل النار بالبارجة التركية في حرب عام ١٨٢١.. هل تحملين جواز سفرك معك؟

ـ ليس دائماً، لكنني أحضرته معي اليوم في حال اضطررت لصرف شيكات سياحية.

ـ هذا يتم في غايوس. هل لي أن أنظر إلى جواز سفرك؟

ـ إذا أردت فلِمَ لا؟

أخرجته من حقيبتها وأعطته إياه.. فتح صفحاته على صورتها والأوصاف.. الصورة الملونة كانت تظهرها بكامل زينتها، وبتسريحة شعر راقية، مرتدية بذلة فخمة.

ـ إذن، أنت حقاً في الرابعة والعشرين، أو ستصبحين بعد شهرين من الآن.. كنت أتأكد فقط.. فأنت لن تكوني الأنثى الأولى التي يمكن أن تخادع في مسألة عمرها.. من كان يظن هذا؟

قالت ببرود، بعد أن مدت يدها واستعادت جواز سفرها:

ـ أتصور أن معظم الناس يبدون مختلفين وهم في العطلة.

أعاده لها: هذا ممكن.

عاد إلى حيث أوقف الدراجة النارية وطوّح ساقه فوق المقعد، وبعد أن استقر على الدراجة الصغيرة قال: اصعدي.

ـ إلى أين ستذهب؟

ـ أنا آتٍ معك لنسبح سوية ثم نتناول الغداء معاً، فأنت لو لم تكوني راغبة في تعميق تعارفنا لما ذكرت عمرك الحقيقي لي ديانيرا.. تعالي.

انطلقا مع حقيبة الشاطىء في حجرها، ويداها ممسكتان به. بعد مسافة قصيرة توقف في مكان يطل على خليج صغير خلاب، مياهه زرقاء خضراء صافية.. بعد دقائق، كانا يقفان على الشاطىء وهما يتبادلان الابتسام. ولم يستغرق استعداد كاسبار للسباحة أكثر من ثوان ووقف وهو يلبس شورت سباحة أسود ينتظرها إلى أن ترتدي صندال الشاطىء، ثم لبست هي بدورها ثياب السباحة.

سارا جنباً إلى جنب إلى البحر.. تمتمت بعد وصولهما إلى عمق الخصر في الماء:

ـ آه.. أحس كأنني في الجنة!

رأت كاسبار يسحب أنفاسه، وصدره العريض يتمدد مع امتلائه بالهواء واختفى تحت سطح الماء، ليعود إلى الظهور على مسافة بعيدة قرب بعض الصخور، وتسلق خارجاً من الماء جسده الملوّح بأشعة الشمس يلمع بنورها..

وقف يراقب يختاً لبضع لحظات في عرض البحر قبل أن يأخذ نفساً عميقاً مرة أخرى ويغوص مجدداً في الماء. شاهدته يسبح نحوها تحت الماء، ثم خرج إلى جانبها، ينفض شعره ويبتسم.

ـ هذه هي الحياة.. هه؟

ردت بسعادة: أجل.. إنها رائعة.

بقيا في الماء وقتاً طويلاً، ثم جلسا على صخر مسطح.. بعد ذلك تركته هناك وذهبت وارتدت ثوب سباحة جاف. وجففت شعرها.

رأت كاسبار يقف برشاقة الفهد، وهو ينضم إليها سألته:

ـ هل معك شيء آخر ترتديه؟

ـ الشورت فقط.. سأستعير منشفتك إذا أمكن. لقد تركت منشفتي في المركب الذي جئت فيه مع صديق لي استعار مركبي ليومين وأخذت منه دراجته.. وأرجو أن يكون هذا تبادلاً عادلاً، فأنا لا أريد أن أجد نفسي أوصلك إلى بيتك الليلة سيراً على الأقدام.

إذن فهو ينوي قضاء كل النهار والمساء معها.. ثم ماذا؟

تساءلت برعشة ارتباك: ما الذي أوصلت نفسي إليه؟

***

٣ ـ ما هي السعادة؟

تناولا طعام الغداء خارج «التاڤيرنا» المطعم الذي ذكره كاسبار لها. . وجبة بسيطة من العجة مع السلطة والخبز والمرطبات.

وهما يباشران بالطعام، قال:

ـ إنه اسم غير اعتيادي ديانيرا. لا أظنني سمعته من قبل.

ـ جدي اقترحه على والدي.

كانت ستسأله عن عائلته لكنه سبقها بالسؤال:

ـ أين يعيش أبواك؟

ـ لقد ماتا وأنا طفلة، ولا أذكرهما. . ولقد رباني جدي وجدتي، وجدي الآن يعيش وحده بعد وفاة جدتي في شقة صغيرة. والمكان قريب من لندن، لذا فأنا أراه كل نهاية أسبوع. . وأهلك؟ هل هم أحياء؟

ـ لسوء الحظ لا. والدتي ماتت وأنا في الخامسة عشرة، والدي الذي كان أكبر منها سناً مات بعد بضع سنوات.

ـ ألديك أخوة وأخوات؟

ـ أظن واحدة، وعدد لا يحصى من العمات والخالات والأعمام والأخوال، وأولادهم كثيرون.

ـ كم أحب أن أكون جزءاً من عائلة كبيرة. . عندما يموت جدي لن يبقى لي أي قريب مقرب.

ـ بإمكانك التعويض عن هذا بإنجاب الأولاد. . أم أن هذا الحل لا يروق لك؟

ـ كان يروق لي فيما مضى. . الآن. . لست أدري.

ـ سيكون من المؤسف هدر الخصائص الوراثية التي جعلتك جميلة. . فتاة غير عادية الجمال.

النظرة الواضحة في عينيه دفعت لوناً ورديا إلى خديها البرونزيين. . هل يعني ما يقول؟ أم أنها طريقة غزل وجدها مؤثرة فيما مضى؟

ملاحظته التالية لم تكن متوقعة:

ـ أحياناً عندما أرى اكتظاظ أوروبا بالسكان أفكر أنه على الناس الحصول على ترخيص للإنجاب، شرط ألا يعطى هذا الترخيص إلا لزوجين لهما مواصفات محددة.

ـ أي نوع من المواصفات؟

ـ الجمال أو العقل. . إبداع ثابت أو براعة يدوية. . التناسل المختار ناجح مع الحيوانات، فلماذا لا يطبق على البشر؟

ـ لأن الأبوين الوسيمين الذكيين، نادراً ما ينجبون أولاداً جميلي المظهر.

كانا لا يزالان يتجادلان بمرح حين انتهيا من وجبتهما. فأشار كاسبار إلى الساقي وسألها: هل تشربين القهوة؟

ـ أرجوك. . فأنا أشعر بالنعاس في مثل هذا الحر.

ـ إذن سنجد مكاناً هادئاً يمكنك النوم فيه. . ولمَ لا؟ فالعطلة هي كي يفعل المرء ما يحلو له متى يشاء. المشكلة الوحيدة هي أن الشواطىء هنا ليست مريحة جداً للاستلقاء فيها دون فراش قش، أو فراش هوائي.

ـ أليس هناك شواطىء رملية أبداً؟

ـ في انتي باكسوس فقط.. خليج «فوتومي» هناك يشبه شواطىء الكاريبي.. وهو عادة مكتظ بالزوار يومياً، لكنه مكان جميل لتمضية النهار على أن يأخذ المرء معه طعامه وشرابه. بإمكاننا الذهاب في الغد لو شئت.

عودة الساقي يتكلم اليونانية مع كاسبار، أنقذتها من الالتزام بهذا الموعد، بينما كانا يشربان القهوة قالت:

ـ ذكرت شواطىء الكاريبي، هل زرتها أم مجرد استماع من شخص ما؟

ـ بل كنت في الكاريبي.. هل زرت «لاكا» أبعد القرى شمالاً في الجزيرة؟

ـ ليس بعد.. هل تتميز بشيء جميل للرؤية؟

ـ أظنك ستجدينها مثيرة للاهتمام.

انطلقا في جولة أخرى على الدراجة، ومروا أمام عدة فيلات سياحية.. إلى أن توقف كاسبار كان الهواء الذي يلسع وجه دي قد أزال النعاس الذي غالبها منذ قليل، وتشوقت للسباحة مجدداً.

ومع أنهما كانا وحدهما على الشاطىء طيلة فترة بعد الظهر لم يحاول مغازلتها، كما توقعت.. بل كان تواقاً جداً ليعرف وجهات نظرها في مختلف المواضيع.. وربما كان هذا تكتيك آخر وجده أنجح.

كانت حرارة النهار قد بدأت تتلاشى عندما عادا إلى غايوس.

عادا إلى الواجهة البحرية، حيث أوقف الدراجة قرب الكنيسة وسط الساحة، ووجدا طاولة خارج مقهى «فولكانو» وقال لها:

ـ في مثل هذا الوقت من المساء يتمشى الناس في الساحة.

ـ مثل إسبانيا؟

ـ بالضبط.. هل زرت إسبانيا؟

ـ مرة واحدة، لم أكن في عطلة.. أرسلتني المؤسسة لتنفيذ ديكور منزل للعطلات في كوستا بلانكا، لمليونير من يوركشاير.. كانت مهمة صعبة جداً.. فهو وزوجته بدآ حياتهما بقليل من المال، ولا فكرة لأحد منهما عما يريد.. لذلك أعطيانا صلاحيات كاملة.

ـ ألا يسهل هذا الأمر أكثر؟

ـ أوه.. أبداً.. بل العكس.. يصعبه أكثر.. إذا قال الزبون إنه يفضل اللون المشمشي والأزرق الفاتح، ولديه مجموعة تماثيل خزفية يريد عرضها، يكون هذا عملاً أسهل بكثير من عمل لا شيء أمامك تبني عليه.

ـ وكيف اكتسب ثروته هذا المليونير؟

ـ بإنتاج بعض المعدات للسوبرماركت.. لا أعرف ما هي بالضبط.. كان من الواضح أن المال لا يشكل عائقاً بالنسبة له.

وصل الساقي وقبل أن يطلب كاسبار منه شيئاً سارعت تقول:

ـ أفضل المثلجات على المرطبات.. وهذه المرة على حسابي أنا، دون شك.

نظر إليها متفرساً، والتسلية بادية في أعماق عينيه المتغيرتين، تارة تبدوان رماديتين، وتارة ذهبيتين وبدأ بالابتسام:

ـ حسن جداً إن كنت تصرين.. لكنني سأدفع ثمن العشاء.

لاحظ خاتم الجوزاء في أصبعها وهي تأكل المثلجات.

ـ هل اشتريت هذا الخاتم من هنا؟

ـ لا.. هذا الدلفين الصغير فقط.. كان هناك خاتم بدلفينين مزدوجين فكرت أن أشتريه ليتماشى مع هذا.. ثمنه رخيص.

ـ إن شاهدت خاتماً آخر أعجبك، فاشتريه فوراً. فإن مخزون أصحاب المحلات أصبح قليلاً، والموسم انتهى، ولن يجددوا مخزونهم قبل العام القادم.. لا يأتي أحد إلى باكسوس في الشتاء..

في كانون الثاني وشباط تصل الحرارة أحياناً إلى تحت الصفر.

فيما بعد رافقها إلى المحل الذي شاهدت فيه خاتم الدلفينين، لكنها لم تجده.. وفكرت أنها شاهدت مثله في المحل الآخر الذي شاهدت فيه الخاتم برأس الكبش، والذي يبيع الحلى الذهبية.. عندما خطت خطوة أمام كاسبار، تعرف عليها صاحب المحل ما إن دخلت إلى المحل وكاسبار خلفها فتحرك فوراً إلى منصة العرض قائلاً:

ـ أترغبين بتجربة الخاتم مرة أخرى مدام؟

هزت رأسها نفياً:

ـ لا.. شكراً لك، أبحث عن خاتم فضي يشبه هذا، لكن بدلفينين.

ـ آسف.. لا أستطيع مساعدتك.. دلفين واحد أجل.. دلفينين.. لا.

ابتسمت: «أوه.. لا بأس».

والتفتت إلى منصة عرض الخواتم الذهبية فسألها كاسبار:

ـ أيهم الخاتم الذي جربته قبلاً؟

ـ أحد هذه المجموعة.. لكنه غالي الثمن، ولا أستطيع تحمل سعره.

قال صاحب المحل يحاول الإقناع:

ـ لكن الذهب أربعة عشر قيراطاً «مدام» أفضل مما قد تجدينه في انكلترا..

قال كاسبار: الذهب هو استثمار جيد دائماً.. هناك سلسلة اشتريتها لأختي منذ سنوات تساوي الآن ضعف ثمنها.

ـ أجل.. أعرف هذا.. لكن استثماري الكبير هو شقتي في لندن.. لا أستطيع تحمل عطلة خارج البلاد، وشراء خاتم ذهبي.

التفتت إلى البائع: وداعاً.

قال كاسبار له شيئاً باليونانية، وسألته بعد أن تركا المحل:

ـ ماذا قلت له؟

ـ قلت إن النساء شهيرات بتغيير آرائهن.. ما رأيك بتمرين أقدامنا لنصف ساعة؟ فالوقت مبكر للعشاء.

ـ أجل.. إنها فكرة جيدة.

لكن وهما يتمشيان على شاطىء الواجهة البحرية باتجاه مركز الحاكم السابق لم تكن دي مقتنعة أن ما قاله كاسبار لصاحب المحل هو ما ادعى قوله.. أيمكن أن يكون أخبره بأنه سيقنعها بشراء الخاتم، لقاء عمولة على الربح؟ وتساءلت بغير ارتياح: لماذا أستمر بهذه الريبة السخيفة حوله؟ لقد أنقذني من العاصفة.. وكان بإمكانه إغوائي، لكنه لم يفعل.. وحتى الآن تصرفاته لا تشوبها شائبة.. مع ذلك لا أثق به.. فلماذا؟ ما هو اللغز الذي يجعلني أشك فيه؟

مركز الحاكم كان أكبر بناء في غايوس.. يتألف من ثلاث طبقات.. طراز شرفاته ذكر دي بالشرفات من طراز ريجنسي في انكلترا.. وسألت:

ـ لماذا بني هذا المركز؟ هل كانت باكسوس تابعة لبريطانيا يوماً؟

ـ أجل، وقعت الجزيرة في يد البريطانيين عام ١٨١٤ ولم تصبح الجزيرة جزءاً من اليونان إلا بعد خمسين سنة.

ـ أنت مطلع جداً.

ـ وهل يدهشك أن يكون حفيد صياد له القليل من الثقافة؟

ـ بل ما يدهشني أنك تمتلك هذه الثقافة، ولا عمل محدد لك.

ابتسم.

ـ أتدبر أمري.. الرجل الذي يستطيع أن يستخدم يده في معظم الأعمال، ولا يخاف العمل الشاق، لا يمكن أن يجوع.

ـ على الأرجح لا.. لكنه لن يكسب ما يكفي من المال.

ـ وهل المال مهم بالنسبة لك ديانيرا؟ هل تحلمين بأن تصبحي ثرية؟

ـ لا . . لكنني لا أحبذ أن أكون فقيرة، أو أن أكون غير واثقة من تأمين دخل سنتي القادمة .

ـ الرجل الذي كنت ستتزوجينه . . كيف كان يكسب رزقه؟

ـ لم يكن قد أنهى تعليمه بعد، كان سيصبح فناناً، رساماً .

ـ إنها مهنة مشكوك بها جداً . .

ـ أجل لكن توم كان موهوباً كثيراً . . وكنت سأبقى أعمل إلى أن يؤسس نفسه . . وكان له دخل من مال تركته له جدته .

ـ وهل هذا دخل يكفي للعيش؟

ـ تقريباً . . مع القليل من الحرص .

ـ هل كنت ستتزوجين منه لولا ذلك الدخل؟

ـ طبعاً . . كنت أحبه . . وكنت سأتزوجه ولو لم يكن يملك قرشاً .

ـ أعتقد أن هناك نساء يقبلن بكل شيء مع رجل لا شيء يقدمه لهن، لكنهن قليلات، كما أعتقد .

ـ هناك نساء يتزوجن الرجل وهن يعرفن أنهن خلال بضع سنوات سيدفعن ثمناً مرتفعاً لسعادتهن .

ـ والكثيرات يعتبرن الرجل مجرد وسيلة للعيش المريح، ويفضلن أن تكون معيشتهن معه في فنادق الدرجة الأولى .

السخرية في صوته جعلتها تتساءل ما إذا كان قد وقع يوماً في حب فتاة تركته إلى رجل آخر يملك المال .

قالت بخفة :

ـ أنت الآن تجعلني أشعر بحرج لأنني تركتك تدفع ثمن العشاء . . لماذا لا نتشارك؟ عندئذٍ ستعرف أن لا دوافع خفية عندي لأكون لطيفة معك .

أمسك ذراعها بخفة وأدارها نحوه :

ـ وهل ستكونين لطيفة معي دي؟

تصاعد اللون الأحمر إلى وجهها وهو يحدق بها . . وسألت بغير ثبات :

ـ ألهذا أنت لطيف معي؟

ـ أنا أريدك، هذا صحيح، لكن فقط إذا أردت أنت .

ـ أنا . . لقد التقينا لتونا . . قبل الأمس . . ولا أعرفك .

ـ وماذا في هذا؟ بإمكان المرء أن ينجذب إلى شخص آخر لحظة المصافحة . .

ـ أعرف أن الرجال يشعرون هكذا غالباً . . لكن هذا لا يحدث بسرعة لبنات جنسي .

ضحك : بل العكس، وتعرفين . . ليس هناك فرق . دعينا ننسى البقاء في غايوس للعشاء . . ولنذهب إلى منزلي، أو منزلك، لست جائعاً، أريد أن أمضي الوقت معك .

شكلت لهجته المنخفضة الملحاحة إرباكاً لها .

ـ لا . . لا . . لا أستطيع . . لا أستطيع القبول برجل إلى أن أعرفه أفضل بكثير مما أعرفك كاسبار . . أعني أننا . . أننا فعلاً غريبين .

ـ كيف يمكن أن تقولي هذا . . لقد أمضينا لتونا فترة بعد الظهر نعرف أشياء عن بعضنا . . وأظننا في معظم المسائل الهامة متفقين كثيراً .

ـ ربما . . لكن كل هذا مبكر كثيراً . . لم تمر أربعاً وعشرين ساعة منذ تعرفنا على بعضنا .

أنزل يديه عن ذراعيها :

ـ حسن جداً . . سأعطيك المزيد من الوقت . . لا زال الوقت مبكراً للعشاء . . فلنذهب لنشاهد الأسطول الصغير وهو يرسو .

الأسطول الصغير كان مجموعة من اليخوت تجوب البحر الأيوني تحت قيادة قبطان خبير، توفر أسبوعين من العطلة الممتعة.

قال أحدهم وهي تراقب الأسطول مع كاسبار:

ـ مرحباً دي.. كيف تجري عطلتك؟

ـ أوه.. مورتيمور! مرحباً.

كان الرجل قد دعاها إلى القهوة آخر مرة زارت فيها غايوس، ومنذ ذلك الوقت نسيت وجوده، متأملة أن لا يكون لاحظ ترددها أكملت:

ـ أنا أمضي وقتاً ممتعاً، شكراً لك.. وأنت؟ أتتمتع بوقتك؟

ـ أجل.. لكنني سأتمتع أكثر إن تناولت العشاء معي.

من الواضح أنه لم يلاحظ أنها واليوناني الطويل معاً. لكن ما إن دعاها إلى العشاء حتى التفت كاسبار وأخذ يقيمه.. وكان الفرق بين الرجلين واضحاً في مظهرهما، اليوناني بشعره الكثيف المجعد وبشرته القاتمة وجسده المليء بالعضلات، والإنكليزي النحيل، ببشرته الشقراء وبشعره الأشقر الناعم الذي يستمر بالانسدال على جبهته.

قالت تشرح له:

ـ أخشى أن لا أستطيع مورتيمور لأنني سأتناول العشاء مع كاسبار، أنا لا أعرف أسماء عائلتيكما، لذا لا أستطيع تقديمكما بشكل لائق.

قال مورتيمور: مورتيمور واتنغ.. كيف حالك؟

ومد يده للرجل الآخر.

صافحه كاسبار وسبّب أنّة ألم خفيف لمورتيمور، وبدلاً من قول اسم عائلته ربما اعتقاداً منه أن من الصعب على الأجانب لفظه، قال:

ـ الحياة هنا غير رسمية أبداً.. وأشك ما إذا كان العديد من هؤلاء الناس.

وأشار إلى ملاحي الأسطول السياحي متابعاً:

ـ يعرفون بعضهم بأكثر من الأسماء الأولى.. وبما أنني حصلت على سعادة العشاء مع ديانيرا أولاً.. فلربما ترغب في تناول بعض المرطبات معنا.

ـ أوه.. هذا لطف منك.. شكراً، هل أنت في عطلة هنا أيضاً؟

ـ أجل، لكن ليس على أساس أنني بعيد عن موطني.

بدت الدهشة على مورتيمور:

ـ وهل أنت من أهل الجزيرة؟ لا شك أنك أطول رجل فيها.. معظم الناس هنا هم دون مستوى الطول.

ـ الكبار في السن، أجل.. معظمهم لم يكن لديهم ما يكفي ليأكلوا لنمو أجسادهم. لونظرت إلى الشبان والأطفال، سترى أنهم سيصبحون أطول بكثير من آبائهم وأجدادهم.

في المقهى طلبت دي القهوة، واختار مورتيمور العصير، وكاسبار المرطبات.. بينما كانوا يتناولون طلباتهم، قال كاسبار:

ـ أيمكن أن تعذراني، فهناك شخص أريد الكلام معه. ولن أتأخر كثيراً.

ترك شرابه وسار بين الطاولات، ثم استدار يساراً عند الزاوية قرب منصة بيع الصحف.

تابع مورتيمور ثرثرته لدقائق. ثم سأل:

ـ أين التقيت بصديقك اليوناني؟

شرحت دي له ما حدث وكيف تعطل القارب. فقال:

ـ يا إلهي! يا لها من تجربة مرعبة لك.. الرجل الذي يؤجر مركباً بمحرك عاطل، يجب أن لا ينجو بفعلته. ألم تصرّي على استعادة مالك؟

ـ لم أره بعد، لكن من الصعب الجدال معه وأنا لا أعرف أكثر من عشر كلمات يونانية، ولا يعرف أكثر من عشرين كلمة إنكليزية.

أشار برأسه إلى الناحية التي ابتعد كاسبار إليها:

ـ أظن أن هذا الرجل يمكنه الاهتمام بالأمر.

أنهى مورتيمور مرطبه، وقال:

ـ لو سمحت لي بنصيحة.. لو كنت مكانك لكنت حذراً من تودد كاسبار أكثر من هذا، فأنا أتصور أنك تقدمين له العشاء للشكر على مساعدته لك لأن تقديم المال المباشر قد يشكل إهانة له.. الواقع أن الكثير من هذه الشعوب المتوسطية ترسخ في أفكارهم أن كل فتيات شمالي أوروبا هن... لنقل.. متساهلات جداً.

ـ في الواقع كاسبار هو من سيقدم العشاء لي.. وهو ليس زير النساء المحلي الذي لم يبتعد يوماً عن «كورڤو».. لقد سافر في العالم أكثر مني.

أحست بالتوتر لتصرف مورتيمور الفظ، لكنها أدركت أن هدفه مصلحتها ثم سألها:

ـ كيف ستعودين إلى لوغوس؟ في نفس الباص الذي عدت فيه تلك الليلة؟

ـ لا.. مع كاسبار دراجة نارية.. سيعيدني معه.

زادت شكوك مورتيمور:

ـ هكذا إذن.. لكن الطقس بارد جداً لرحلة فوق الدراجة في الظلام.. وخاصة إن لم يكن معك معطف واق من المطر. فإنه قد يقرر التوقف في الطريق، وهناك الكثير من الأماكن ستكونين فيها بعيدة عن أية نجدة إن احتجت إليها.

ـ حقاً مورتيمور، ألا تبالغ في حذرك؟ لو كان من هذا النوع لكان لديه الكثير من الفرص للانقضاض عليّ وأنا في كوخه.. أي رجل بوسامته ليس بحاجة لأن يفرض نفسه على أية امرأة. ثم أضف لهذا، أنا لست فتاة ساذجة في السادسة عشرة.. كنت أعتني بنفسي لعدد كبير

من السنوات.. أوه.. لقد عدت.

وانضم كاسبار إليهما:

ـ ذهبت لاستقراض كنزة لك لترتديها؟ ستحميك في طريق العودة ليلاً..

أعطاها سترة صوفية محبوكة يدوياً لونها أزرق شاحب.

ـ شكراً لك.. لطف من صاحبتها أن تقرضها لغريبة عنها.

جلس واحتسى بعضاً من كوبه:

ـ إنها ملك لأول صديقة لي، وهي الآن متزوجة وأم لطفلين.. وبما أنني سمعت آخر ملاحظة قالتها دي لك، أعتقد أنك ارتكبت ذات الغلطة التي ارتكبتها أنا.

بدا الإنكليزي مرتبكاً، وقال متصلباً:

ـ أخشى أنني لم أفهمك.

ـ بشعرها المربوط كذيل الحصان، والنمش على أنفها، تبدو صغيرة السن بشكل مخادع وبريئة. لكنك لو شاهدت صورة جواز سفرها، لأدركت أنها في الواقع امرأة محنكة، وبشخصيتها المهنية، يمكنها على الأرجح أن تديرنا معاً كخاتمين في إصبعها.

بدا مورتيمور مجفلاً:

ـ حقاً؟ وما هي مهنتك؟

كان قد أخبرها في أول لقاء لهما أنه محام. لكنه لم يسألها عن نوع عملها.

ـ أنا مصممة ديكور.. أعمل عند كونل إيلدرز.. إنه أشهر مصممي الديكور في انكلترا.. إن كنت تعيش في ضاحية «كاردوغان غاردنز» لا شك أنك مررت بمعرضنا في شارع «سلاون».

ـ ربما، فهناك العديد من محلات بيع الأثاث هناك أليس كذلك؟ ولا أستطيع أن أقول إنني لاحظتها كثيراً.

ضحكت دي:

ـ أجل، هناك أربعة أو خمسة محلات.. أستطيع تصور تعبير وجه كونل عندما يسمع أن محراب الأناقة لديه يوصف بمحل بيع أثاث.

ضحك كاسبار بدوره:

ـ إنه يأخذ نفسه على محمل الجد.. أليس كذلك؟

ـ جداً! وليس دون مبرر.. إنه نابغة في حقله.

قال مورتيمور متصلباً:

ـ تبدو لي مهنة غريبة لرجل، اختيار ورق جدران وما شابه.

قالت دي:

ـ إنها تشمل أكثر بكثير من اختيار ورق الجدران، وهي مهنة فيها مشاهير كبار ومميزين في العالم كله.

ـ أيمكن اعتباره مهندساً معمارياً؟

ـ أجل، لكنه أيضاً مصمم ديكور في تعاطيه مع التفاصيل الداخلية بالتنسيق مع البناء. وأظنك ستهتم بمثل هذه الأمور عندما تتزوج ويكون لك منزل خاص، بدل مشاركة شقة مع ثلاثة رجال..

بدا الشك في صوته: محتمل.

وقف كاسبار:

ـ أظن أن وقت الطعام حان دي.. أراك فيما بعد واتنغ.

قال كاسبار لدي بعد أن افترقا عن الإنكليزي:

ـ إنه شاب إنكليزي مثالي.. أين التقيت به؟

شرحت له.. فسأل:

ـ وهل حاول أخذ موعد منك؟

ـ أجل لكنني رفضت.

ـ لماذا؟ ألا يعجبك؟

ـ ليس بما يكفي لأن أرغب في قضاء وقتي معه.

ـ لا أعتقد أن الأمر مضحك بالنسبة له عندما يرى الفتاة التي تعجبه بصحبة فلاح يوناني.

ـ أوه كاسبار.. ولماذا ينظر إليك هكذا؟

ـ لأنني أظنه وارثاً للتكبر الإنكليزي ضد الأجانب.

مالت لأن توافق معه، لكنها وجدت نفسها مضطرة للدفاع:

ـ لو أنه يشعر هكذا نحو الأجانب لما جاء إلى هنا في عطلة..

باندفاع لم تدرِ كنهه، ربطت ذراعها بذراعه دلالة مزاح وتحبب.. فنظر إليها، وقال بصوت أجش:

ـ أنا رجل، وأنت امرأة جميلة.. والسعادة التي يمكن أن نعطيها لبعضنا هي الأهم على المدى الطويل.

مر بهما بعض الأولاد.. فتابعا السير، ذراعه حول خصرها، وكأنهما حبيبان حقيقيان.. مرا بمطعم، مسيّج بشريط متشابك على ارتفاع الرأس، عناقيد العنب تتدلى من عريشة ممتدة فوق الطاولات، كانت نصف طاولات مطعم «دودو» مشغولة.

قال كاسبار:

ـ قيل لي إن غرف الحمام هنا نظيفة جداً.. هذا إذا أردت استخدام غرفة السيدات.

وهي تتساءل من أعطاه مثل هذا التقرير، انطلقت وفكت شعرها ومشطته جيداً بالفرشاة.. ولأنها كانت تتوقع أن تعود إلى لوغوس باكراً لم تجلب معها شيئاً لتزين به مظهرها.. لكن المرآة الصغيرة فوق المغسلة عكست وجهاً متألقاً بالصحة، مع إشراقة إضافية.

وقف كاسبار عندما شاهدها تعود. قالت بينما قدم لها كرسياً لتجلس:

ـ من أعطتك المعلومات، كائناً من تكون، محقة تماماً.

لو أنه لاحظ فضولها، إلا أنه لم يشبعه، بل قال:

ـ أنا مسرور لسماع هذا.

لم يكن في المطعم لائحة طعام مكتوبة، بل يوجد ساق واحد يؤمن الطلبات، صغير الجسم، أسود العينين سريع الحركة، فهمت دي أنه «دودو» الذي أخذ يردد أصناف الطعام.

بينما كانا يتناولان الطعام، تحدث كاسبار عن رياضة الإبحار الشراعي، التي لا تزال في مرحلتها الأولى في باكسوس.

ـ عندما تشفى راحتا يديك، سأعطيك درساً فيها.

افتراضه بأن لديها أسبوع آخر من العطلة، ربما عائد إلى أنه لم يكن يعرفها في الأسبوع الأول، ولم تحاول دي تصحيح معلوماته.. كانت قد اتخذت قراراً بأن تبقى أسبوعاً آخر، إن لم يشكل هذا خطراً على عملها.

إذا حدث الأسوأ سأضطر إلى العودة في رحلة إضافية، وأحست بالتهور.. يجب أن أبقى هنا لمزيد من الوقت.. قد يكون الأمر جنوناً، لكن يجب.

بصوت مرتفع قالت:

ـ أحب هذا.. لكن يبدو أن هذه الرياضة تحتاج إلى عضلات.

ـ بالعكس، إنها بمعظمها تقنية.. لقد شاهدت أطفالاً في السابعة يقومون بها.. ولا شك أن لك عضلات أقوى من ابن السابعة.

ـ صحيح.. وقد أكون حاملة لحزام أسود وأنت لا تدري.

مر رجل من أمام المطعم، وشاهد كاسبار بين الموجودين، فرفع يده له.. كانا في ذات العمر تقريباً، وعلى الأرجح ذهبا معاً إلى المدرسة.. لكن هل تعني ابتسامة الرجل أنه كان يقول لنفسه، كاسباريوس لن يبقى وحده هذه الليلة؟

كانت هذه أفكاراً تثير الاضطراب، فكل من سيراهما معاً من المحليين سيقفز إلى ذات الاستنتاج.. سألها فجأة:

ـ مم أنت قلقة؟ ما الأمر؟

ـ قلقة؟ ولماذا أكون قلقة؟

ـ لن أعرف إلى أن تخبريني.. لكن وجهك معبّر جداً وليس قناعاً كمعظم الوجوه.. أستطيع أن أرى متى تخجلين، متى تتسلين، ومتى تسعدين.. أما الآن فأنت مضطربة ديانيرا.

اخترعت سبباً لمعرفتها أنه سيصر:

ـ كنت أتساءل عن عدد الوحدات الحرارية في هذه البيتزا.. قد لا تصدق وأنت تراني الآن، إلا أنني كنت سمينة في مراهقتي. ولا أريد أن أعود إلى لندن وأنا أثقل وزناً.

ـ ليس هذا سبب اضطرابك.. أظنك ربما خائفة مني، أنت لست معتادة على حدوث تجاذب سريع هكذا. لو كنت في انكلترا، وكنت أنا إنكليزياً، لما أزعجك الأمر إلى هذا الحد.. لكنني أجنبي، ولا تعرفين أين أنت معي، كما كنت مع توم.

أوشكت أن تعترف له أنه لم يكن هناك أحد في حياتها قبلاً.. لكنها لاحظت أن زوجين، متوسطين في العمر، كانا يصغيان لما يقولان، ومتشوقان الآن لسماع ردها.. فقالت:

ـ هناك أشخاص ينتظرون طاولة.. فهل نترك طاولتنا لهم، ونتناول القهوة على الرصيف؟

ـ بكل تأكيد.

دفع الحساب، وعادا إلى ساحة الميناء.

قال لها فجأة:

ـ آه.. أظن أنني فهمت سبب قلقك.. أنت تشكين في أن تكون هذه عادتي.. أليس كذلك؟ أن أكون من نوع الشبان العابثين على الشاطىء، الذين يتصيدون النساء من السواح، السريعات التأثر؟

قالت بلهجة احتجاج:

ـ لا . . بالطبع لا أفكر بهذا.

عند الزاوية، في المكان المظلم من الزقاق، وقبل الاستدارة يساراً إلى الساحة، أمسك بمرفقها:

ـ أنت محقة، فهذا حديث يتطلب بعض الخلوة. . سنتمشى قليلاً الآن ثم نتناول القهوة فيما بعد.

قادها نحو زقاق آخر في طريق مختصرة أوصلتهما إلى الواجهة البحرية، وتوجها نحو رصيف أقل ازدحاماً من غيره. . من نوافذ البيوت كان النور يلمع فوق السطح الزجاجي الأسود للماء الساكن الآن لعدم وجود حركة فوقه. ولأن هناك جزيرة أكبر حجماً على بعد قليل من غايوس، فإن الامتداد المائي بينهما يبدو دائماً بالنسبة لدي كضفتي نهر بدلاً من ميناء مثل الذي في لوغوس.

سألته متوترة الأعصاب، وليس فضولاً:

ـ ما اسم تلك الجزيرة؟

ـ اجيوس نيكولاس. . أي القديس نيكولا. . إنها ملك خاص. . ولا يمكن لأحد الذهاب إلى هناك إلا بإذن خاص. .

لكي تبقي الحديث بعيداً عن الخصوصيات، سألت:

ـ وكيف تختلف الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية عن الكنائس الأخرى؟

ـ تذكري أننا لم نترك المطعم لنناقش مسائل روحية.

قالت بصوت منخفض:

ـ كاسبار. . أرجوك. . كما قلت لك سابقاً، الوقت مبكر جداً.

ـ وأنا قلت إنني سأعطيك المزيد من الوقت، لكنني لم أعدك بأن لا أحتضنك.

أخذها بشدة بين ذراعيه، يده على شعرها يرفع رأسها إلى الوراء. . وقال متمتماً:

ـ ألا تريدين أن أعانقك ديانيرا؟

ارتجفت في أعماقها، لكن عقلها كان يقاوم.

قاطع أفكارها بقوله:

ـ يجب أن آخذك إلى البيت الآن، لقد مرت بك ليلة مضطربة بالأمس، وفي الغد سنذهب إلى «انثي باكسوس» وفي المساء إلى «هوغونيزي». . الليلة يجب أن تنامي باكراً.

عندما صعدت الدراجة في طريق العودة، كانت ممتنة للسترة التي استعارها لها. .

المطعم كان لا يزال مفتوحاً عندما هبطا التل إلى «لوغوس». . كان يرسو في منتصف الميناء يخت كبير وجميل كان أحدهم يعزف الغيتار على متنه وتناغم الصوت عبر المياه واختلط بالحديث الضاحك لمجموعة سواح.

وهي تنزل عن الدراجة، توقعت أن يتبعها كاسبار، لكنه بقي في مكانه.

ـ سآتي لآخذك غداً حوالي التاسعة، حسناً؟

ـ أجل. . عظيم. . ألا تريد القهوة؟

ـ سأشرب شيئاً عندما أصل إلى منزلي. . عمت مساء ديانيرا. . نامي جيداً.

استدار على عقبيه وانطلق، وتركها واقفة تحت نور المصباح محتارة.

في الصباح التالي، وقبل وصول كاسبار، اتصلت بلندن وتكلمت مع زميلتها أماندا ديسموند. .

سألتها الفتاة الأكبر سناً:

ـ هل هناك شيء خاطىء دي؟

ـ لا. . كل شيء على ما يرام. . اسمعي. . هل سيغضب كونل إن

تأخرت أسبوعاً في العودة؟ لقد جدّ عليّ أمر.. أمر مهم.. ولا أريد العودة إلى لندن لأجد نفسي مطرودة من العمل.

ساد صمت قصير، قبل أن ترد أماندا:

ـ فتش عن الرجل.. كما أعتقد؟ لا يمكن إلا أن يكون السبب رجلاً.. من هو؟

ضحكت دي: إنه يوناني.. والأمر كله جنون، لأنني التقيته لتوي.. والآن.. لا أستطيع أن أتركه.

ـ هذا ما أعتقده.. ابقي هناك عزيزتي.. سأتدبر أمر كونل.. لا يمكن أن أكون أكثر غبطة لأنك وجدت أخيراً رجلاً مميزاً.. كنت قلقة عليك.. من غير الطبيعي لفتاة جذابة مثلك أن تكون منغمسة هكذا في عملها فقط.

ـ لا أعرف إذا كان مميزاً.. لذلك أريد التأكد.

تحدثتا لبضع دقائق أخرى ثم أنهتا الاتصال، وكانت دي مرتاحة لموافقة أماندا الصريحة.

قبل التاسعة بدقيقة أو اثنتين، سمعت طرقاً على الباب، فتحته فوجدت كاسبار يبتسم لها، وهو يرتدي قميصاً وبنطالاً قصيراً.. ذقنه محلوقة بنعومة، شعره المجعد لمّاع كجناح طير.. أحنى رأسه ليتجنب أعلى إطار الباب، والتقطت الرائحة اللطيفة لصابونه أو عطر بعد حلاقته.. سألها وهو ينظر إلى الغرفة الواسعة:

ـ هذا جذاب جداً.. عملك؟

هزت رأسها، وشرحت له عن رايان وسالي:

ـ كلاهما له ذوق ممتاز، لكن حتى من لا ذوق له، لا يمكن أن يخطىء إذا تسوق أغراضه من محلات لاورا آشلي وهابيتات.. لو كنت أملك المال الكافي للانطلاق في التصميم والديكور، فهذه هي المحلات التي أرغب بمنافستها.. فالتصميم للأثرياء فقط لا يروق لي

بقدر أن أجعل من الممكن للناس العاديين، وفي ميزانية ضيقة، أن يكون لهم منزل بنفس الطراز الفاخر.

كان كاسبار يسير حول الغرفة، يدرسها:

ـ أتعرفين الفارق في الأرباح؟ من يكسب مالاً أكثر؟ رب عملك، أم هاتان المؤسستان اللتان ذكرتهما؟

ـ من الصعب القول.. ففي أميركا يتقاضى كونل ألفي دولار في الساعة، لاستشارة خاصة.. لكن، بنفس الوقت يمكنه تصميم شيء للسوق الشعبية قد يجعل من الألفين مجرد حبتي فستق.

كانت على وشك التوسع في هذه النقطة، لكنها غيرت رأيها:

ـ عليّ أن لا أبدأ الكلام عن العمل.. فهذا لا يهم سوى من يهتم بهذه الصناعة.

ـ الطريقة التي يكسب فيها الناس المال كانت دائماً مثيرة لاهتمامي.

ـ وهل تريد كسب المال كاسبار؟ عندما سميت نفسك صاحب المهن السبع، بدوت وكأنك سعيد بأن تكسب ما يكفي لإبقاء الفقر بعيداً عن بابك.

هز كتفيه: هناك أوقات أكون فيها راضياً مقتنعاً بحياة بسيطة. وأحيان أخرى أطلب المزيد.. اليوم يوجد في جيبي ألفا «دراخما» وأجمل فتاة على الجزيرة في صحبتي، ولا شيء أفعله سوى التمتع بوقتي، فهل يسعدك أكثر بدل أن آخذك إلى غايوس فوق دراجة قديمة، أن آخذك في سيارة ضخمة، ويخت يبلغ ستين متراً في الميناء؟

ـ لو كنت تملك كل هذا لما كنت أنت، أنت. لكنت أكبر سناً، وعلى الأرجح كنت تزوجت عدة مرات وتعيش مسترخياً كعيش الأغنياء..

بعد دقائق، وهي جالسة خلفه، تتنفس رائحة خشب الصنوبر المنعشة، والسرخس، والأعشاب البرية، عرفت أن ما من صديقة

لمليونير تبحر في سياحة عبر البحر الايوني في يخت ضخم، يمكنها أن تكون أكثر سعادة منها في هذا الصباح الحار الرائع.

كانت العبّارة التي تأخذ الناس إلى انتي باكسوس مكتظة بهم عندما وصلا. لكنهما وجدا مكاناً يقفان فيه على الامتداد الضيق لسطح المركب قرب غرفة القيادة.

بعد نصف ساعة من مغادرة غايوس، كانوا قرب التشكيل الصخري المنطوي على بعضه، العجيب في شكله، من مرتفعات انتي باكسوس الصخرية.. وسرعان ما بدا مقصدهم للعيان، رمال ناعمة هلالية الشكل يحدها الماء الذي يميل في الأمكنة الأعمق إلى لون السماء فوق الرؤوس.

توقفت العبّارة عند رصيف اسمنتي على بعد قليل من الشاطىء، وصل إليه الركاب تسلقاً فوق الصخور عند أسفل المرتفع.

أكثر من مرة، خلال الساعات الست التي قضياها هناك، ساعدها كاسبار على وضع المرهم المضاد للشمس.. وبينما كان يدلك كتفيها بالمرهم، ابتسم لها.. كانت قد اكتشفت أن التغيير الغريب في لون عينيه هو بسبب أن بؤبؤيه رماديان مرقطان برذاذ ذهبي، وقال لها:

ـ لا أظنني سأصاب بخيبة أمل معك ديانيرا.

أحست بنفسها وقد بدأت تحمرّ، وتحولت عنه لتنظر إلى البحر.. إنه واثق أنهما سيصبحان حبيبين.. لكن لو لم تكن تشعر بنفس الطريقة، لماذا اتصلت بأماندا ورتبت معها أمر قضاء أسبوع آخر هنا؟

من خلفها قال:

ـ أحب خجلك، واحتشامك.. فالجرأة والوقاحة لا تناسبان المرأة.

فكرت مجفلة: أنا أحبه! لكن كيف يمكن أن أحبه؟ في يومين؟ إنه غريب.. وبالكاد أعرفه.

***

٤ ـ النهاية الحقيقية للحب

لم يكن هناك متسع من الوقت لإعادة الكنزة الزرقاء المستعارة قبل الرحلة إلى انتي باكسوس. عندما نزلا من العبارة وقت عودتها، في حوالي الرابعة والنصف، قالت دي:

ـ أتحب صديقتك الشوكولا؟ أريد تقديم هدية صغيرة لها للطفها لإعارتي سترتها الصوفية.

ـ قالت إنك على الرحب والسعة لتحتفظي بها لبقية إقامتك. إنها لم تعد تستخدمها، فقد أصبحت صغيرة جداً عليها الآن.

ـ لكنني جئت معي بما ألتف به الليلة.

بعد أن اشترت بعض الحلوى ذهبت مع كاسبار لتشكر ماورا شخصياً.. يبدو أن هناك الكثيرات ممن يحملن اسم ماورا.

لكن ماورا هذه، كانت تبدو أكبر سناً من كاسبار بعدة أعوام.. ربما السبب أنها كانت ضخمة الوزن، ترتدي ثياباً قديمة الطراز لكن آثار جمال الصبا كانت بادية على محياها، لكن إن كانت يوماً جميلة فإنها الآن تخلت عن هذا الادعاء فهي تكرّس وقتها لتكون ربة منزل مثالية وأمّاً.. داخل منزلها الذي كان نظيفاً مرتباً دونما شائبة.. وطفلاها اللذان هما نور حياتها.

اغتبطت بتلقيها الحلوى، وأصرت على أن يبقى الضيفان لتناول القهوة وتذوّق الفاكهة المحفوظة من صنعها. لكن دي وجدت هذه

الفاكهة المحفوظة شديدة الحلاوة. فهي حتى في أيام سمنتها لم تكن تحب الحلوى، بينما من الواضح أن ماورا تحب جداً كل الأشياء السكرية، ولا ترى سبباً لحرمان نفسها.

جعلت الزيارة دي تعي أن كاسبار يحب النساء على شاكلة ماورا.. لأن انشغال ماورا الكامل ببيتها وأطفالها، وبالنتيجة براحة زوجها الصياد حياة يتوقعها مع زوجته عندما يتزوج.

لكن، لماذا أفكر بالزواج؟ سألت نفسها وهي ترافقه لانتظار المركب التالي إلى «موغونيزي».

عرفت أن السبب هو خوفها من الوقوع بحبه المتوقع، بالنسبة لها الحب والزواج صنوان متلازمان. قد يكون تفكيرها قديم الطراز لكن، أكان قديم الطراز أم لا.. فهذا ما تشعر به.. ربما لأنها نشأت في كنف عجوزين بقيا وفيين لبعضهما حوالي نصف القرن من الزواج، وهذا ما له قدر كبير من المساهمة في تصرفاتها.. وكانت واثقة أنه لو بقي توم حياً لكانت حياتهما كحياة جديها.

لكن ليس مع كاسبار لأنها تشك في أنه يحبها.. فهي فتاة غريبة يأمل أن يضيفها إلى لائحة غزواته، التي لا شك أنها كثيرة.

كانت العبارة إلى «موغونيزي» تماثل العبارة إلى انتي باكسوس، تتسع لخمسة وعشرين شخصاً، لكن، في مثل هذا الوقت من النهار، كانا الشخصين الوحيدين الراغبين في الذهاب إلى «موغونيزي» والوقت متأخر للذهاب إلى هناك للسباحة، ومبكر للعشاء.

شاطىء موغونيزي كان مخفياً وراء منحنى، من خلفه مقهى ومطعم، كانا ذاهبين إليه.

اقترح كاسبار بُعيد وصولهما:

ـ هل تسبحين بما أن الشمس ساطعة؟

ـ أظن أنني سأكتفي بالتشمس.

في مثل هذا الوقت من النهار ورغم الطقس الحار لم تكن بحاجة لوضع مراهم واقية.. في الواقع، وبعد أسبوعين من العناية الحذرة ببشرتها، حققت لوناً أسمراً مرضياً، دون أن تحرق بشرتها أو تقشرها.

أخذت تراقب كاسبار وهو يسبح من الشاطىء حتى غابة الصنوبر.. من الصعب القبول بفترة تعارفهما الصغيرة.. لكن مع أنها ألزمت نفسها إلى حد أن تأخذ إجازة لأسبوع إضافي، إلا أنها قادرة على الانسحاب الكامل من هذا الالتزام.

أتستحق بضعة أيام وليال معه أن تجعلها تخسر احترامها لنفسها؟ إنها تعرف أن قبولها برجل لن يقول لها أبداً: أحبك.. أمر لا شك أنه سيحط من كرامتها.

عندما خرجت من غرفة النساء في المطعم لتنضم إلى كاسبار وجدت أنه ارتدى بنطلون جينز وكنزة لونها أحمر قاتم، وحلق ذقنه.

نظر إلى الثوب الأزرق الذي ترتديه:

ـ هل هذا هو الثوب الذي اشتريته بالأمس؟

ـ أجل، وهو بحاجة إلى حذاء يتناسب معه، لكن ما أرتديه ليس سيئاً جداً.

ـ يعجبني.. جسدك جميل. ولسوف تجذبين الكثير من الاهتمام حين يبدأ الرقص فيما بعد.

خافت دي: لا أرجو هذا.

وبدا كاسبار متسلياً:

ـ ألا تحبين أن يُعجب بك الناس؟

ـ لا أحب أن يحدق بي أحد.. هل يبدو جسدي ملفتاً بهذا الفستان؟

ـ بالنسبة لي يبدو رائعاً لكن لو ضبطت أحداً يحدق بك فيستحسن أن لا يعيد النظر إليك.

جلسا تحت الأشجار يشربان المرطبات.. كان الليل قد أرخى سدوله، وعلى سفح التل، عبر الماء، كانت الأنوار الذهبية لعدد من الڤيلات المعزولة، كأنها رؤوس دبابيس في الظلام. وبدا لها العالم وكل ما فيه من مشاكل، بعيداً، بعيداً جداً، عن هذا المكان الهادىء.

سألها كاسبار: هل أنت سعيدة؟

فكرت دي بالسؤال، ثم أجابت بخفة:

ـ ومن لا يكون سعيداً في هذا المكان الساحر؟ لقد كان يومي رائعاً.. وأنا أتمتع بجلوسي هنا، أشرب العصير المثلج، وأتحدث إليك، منتظرة عشائي بشوق.. فمن لا يمكن أن يكون سعيداً في ظروف كهذه؟ أكنت تشعر هكذا وأنت في التاسعة عشر كاسبار؟ أكنت واثقاً يومها أنك ستصيب ثروة وتتزوج من فتاة جميلة، وتعيش في سعادة دائمة؟

ـ يومها أحسست أنني يجب أن أحقق ثروة.. أجل.. لكنني لا أذكر أن الزواج كان من الأولويات عندي.. معظم الشبان يهتمون أكثر بالمغامرات الغرامية، بدل الزواج. كما أن لليونانيين نظرة عملية للزواج أكثر مما للإنجليز والأميركان، وقد نقول إنها نظرة أكثر جدية.. اليوناني لا يبدأ حياة الزواج إذا كان لا يعمل. وهو يتوقع من زواجه أن يدوم، ولأجل هذا يجب أن يكون مركزاً على أسس أقوى من الحب الرومانسي لوحده.

ـ وهل يصرف اليوناني النظر عن الحب بالكامل؟

ـ بوجه عام.. أجل.

ـ وما هي وجهة نظرك الخاصة عندما تتزوج، هذا إذا حصل، هل سيكون زواجك لأسباب معقولة؟

ـ أنا لست يونانياً مثالياً، لقد سافرت كثيراً وأمضيت جزءاً كبيراً من حياتي بين غير اليونانيين، وتأثرت بآرائهم.. والآن، لسوء الحظ،

لن أرضى سوى بامرأة تجمع الطراز القديم من الفضائل كزوجة يونانية، إلى جانب جاذبية فتاة مثلك.. وأن أجد واحدة بهذه الصفات قد يكون طلباً مستحيلاً.

ـ لو نظرت من وجهة نظر تلك المرأة، هل ستقدم لها الفضائل القديمة الطراز كزوج من باكسوس إضافة إلى جاذبيتك؟

عند هذه النقطة، قوطع حديثهما بصفير مرتفع من العبّارة.. وبدلاً من الرد على سؤالها، قال كاسبار:

ـ يبدو أن حمل الركاب سيهبط علينا.. ومن الأفضل الذهاب الآن لاختيار طاولة، قبل أن يصلوا.

اختار كاسبار طاولة تطل على منظر لا يطل على الخليج مباشرة، وتقدم االساقي وسجل طلباتهما قبل وصول الوافدين الجدد إلى الشاطىء. وسرعان ما وصلت أطباق حساء الفاصوليا الحارة، مع سلة خبز، وزجاجات ماء باردة.

وهما ينتظران الطبق التالي، بدأ الركاب بالنزول إلى الشاطىء، والصعود إلى المطعم، حيث كانت الطاولات منسقة لتشكل مستطيلين مفتوحين.. القصد من هذا لم يتضح إلا بعد وقت قليل، وذلك بعد انتهاء وجبتهما حين عيّن أحد أفراد الطاقم نفسه مشرفاً على المراسم وبدأ بالغناء.

في هذا الوقت كان كاسبار ودي يتناولان القهوة. وتساءلت كيف سيتصرف، فإنكليزيته مكتملة بحيث سيفهم الكلمات كما تفهمها هي، وقد يتمتع بالانضمام إليهم.

من جهتها، كانت دي تفضل أن تشارك في تسلية يونانية بدلاً من هذا النشاط الإنكليزي التقليدي، الذي لا تتمتع به فعلاً.

مال كاسبار إليها قائلاً: هل ننزل إلى تحت؟

هزت رأسها موافقة، وقبل أن يبدأ شاب آخر وصلة احتفال

جديدة، تركا طاولتهما، وابتعدا.

سرعان ما تصاعد لحن راقص من التراس الأعلى.. ومع أنه لم يحجب الموسيقى المتناهية من تحت، إلا أنهما كانا يرقصان بعد لحظات..

لقد مرت سنوات على دي منذ أن رقصت لآخر مرة مع أنها كانت تحب الرقص، وها هي الآن تستسلم للنغم الحالم.

فيما بعد، قدم الشابان اليونانيان اللذان يديران المطعم عرضاً للرقص الشعبي. في البداية كانت الموسيقى منخفضة بطيئة، ومع ازدياد السرعة انضم إليهما قبطان العبارة.

سألها كاسبار: «أتمانعين إن تركتك؟».

ـ طبعاً لا.

راقبته مبتسمة وهو يتقدم بسرعة لينضم إلى الراقصين الثلاثة.

منذ تلك اللحظة، أصبح الوحيد الذي تلاحظه عيناها، مع تصاعد سرعة الخطوات، ودوران الرجال الأربعة في حلبة الرقص.. كانت قد قرأت أن أفضل الراقصين في اليونان هم صيادو السمك، والعمال فهم يرقصون لاستمتاعهم الخاص..

كان كاسبار يتماشى مع خطوات الآخرين بتقدمين طائرتين، وقفزات في الهواء، ورمى ابتسامة باتجاهها.. من الواضح أنه كان يتمتع بنفسه، ومن الواضح أنها أدركت أنها من الآن وصاعداً، كلما سمعت لحن البوزوكي ستتذكر صورة كاسبار، هذا الرجل الأسمر الملىء حيوية، من باكسوس، والذي مع كل ساعة تمر يزداد الخطر عليها بأن تفقد قلبها.

قالت له عندما عاد: كان هذا رائعاً يا كاسبار.

ضحك: «إنه تمرين رائع».

لكنه لم يكن يلهث أكثر مما لو رقص معها..

أمسك معصمها يشدها معه:

ـ لقد بدؤوا من جديد، تعالي وجربي.

كان في باحة الرقص آخرون يحاولون المشاركة في الرقص الشعبي.. وسرعان ما أصبح هناك صف متماسك من أكثر من عشرة، يحاولون تقليد الخطوات المدربة للرجال الأربعة، المنتشرين بينهم.

بذلت دي جهدها كي تحسن خطواتها الخرقاء قليلاً وهي تراقب خطوات كاسبار الذي همس في أذنها: «جيد جداً».

لكن ما إن انتهت الرقصة، حتى كانت مقطوعة الأنفاس.. ومع تفرق الصف وضع ذراعه حولها وضمها إليه بخفة، وهي تستعيد أنفاسها.

اعتمت الأنوار الزهرية البراقة، تعطي المكان وهجاً قرمزياً قاتماً، جعل الثياب تبدو مضيئة.. وبدأت موسيقى جديدة لفرقة موسيقية تعزف الموسيقى الهادئة.. شد كاسبار دي إليه ليبدأ رقص الليلة، متمتماً:

ـ ضعي يديك على كتفي.

بعد لحظات تردد، رفعت يديها فوق كتفيه، وتركت نفسها تسترخي تماماً.

حوالي الثانية صباحاً، وجدت نفسها في نفس الوضع لكن في ظرف مختلف.

كانا وحدهما في الممر الذي ينيره القمر خارج باب شقتها.

حين أدركت بعد دقائق من العناق أنه كان بهذا يتمنى لها ليلة سعيدة، أجفلت بعد أن ظنته يحاول إضعاف مقاومتها.

قال بصوت منخفض:

ـ لن آتي لآخذك باكراً في الغد.. سترغبين في النوم حتى وقت متأخر.. لنقل، إنني سآتي في العاشرة والنصف، فهل يناسبك هذا؟

ـ عظيم.. وشكراً لك على هذا اليوم.

ـ كان هذا من دواعي سعادتي.. تصبحين على خير.

وتركها.

في اليوم التالي، وقبل وصول كاسبار، أجرت دي بضع مكالمات هاتفية تمكنت خلالها من تثبيت موعد سفرها.. أخذها كاسبار في مركبه بعد أن أعاد الدراجة إلى صاحبها، وأعطاها بضع دروس في رياضة الإبحار الشراعي.. وبينما كانت تتمرن وتقع بين وقت وآخر، كان هو يتزلج على لوحه الشراعي جيئة وذهاباً بخبرة، لكنه لم يدعها تتزلج بعد الفطور.

ـ إن بالغتِ في التمرين لأول مرة، فسينتشنج جسمك كله ويؤلمك في الغد.. وآسف لهذه الكدمة على وركك.

تناولا العشاء على الرصيف البحري في لوغوس، ومرة أخرى عانقها مودعاً عند باب دارها، دون أن يحاول الدخول.

لم ترغب دي أن تصدق أن هذه هي الطريقة التي يفكر بها، فمن ناحية أخرى، لا بد أن لديه أسباب أخرى. أو خطة ما، في تأخيره للغزو المحتم لها..

أفكارها كانت حائرة في تقدير علاقتها بكاسبار وإلى أين ستصل.

في اليوم التالي، وهو اليوم الذي كان يجب أن تكون فيه وراء مكتبها في لندن، أمضيا الصباح في التزلج الشراعي.. عادا بعد ذلك إلى القرية ليتناولا غداء خفيفاً على شرفة شقتها.. على أن يسبحا بعد الغداء في الشاطىء القريب، من ثم يذهبان لتناول العشاء في «لاكا».

كان اليوم حاراً.. لكن النراس العلوي في شقتها كان يلتقط أي نسمة هواء يمكن أن تكون موجودة.

لاحظت دي أن كاسبار يعرف الكثير عن تاريخ الجزر الأيونية.. وقص عليها كيف أن أكبر جزيرتين جنوبي باكسوس، «زاكنيسوس» و

«سيفالونيا» أصبحتا في القرنين السادس عشر والسابع عشر، مزدهرتين ثريتين من خلال تجارة الزبيب.

كان يقرأ أحد كتبها عندما بدأت تلف أغراض الشاطىء في الغرفة.. عندما عادت إلى غرفة الجلوس كان قد وضع الكتاب من يده ووقف وسط الغرفة ينتظرها لتغطية أغراضه.. أو هكذا ظنت.. لكن وهو يأخذ الأغراض منها، قال:

ـ بإمكاننا أن نسبح فيما بعد.. أما الآن، أظن الوقت حان، لأن نصل إلى ما سماه شاعر إنكليزي: «النهاية الحقيقية للحب».

إلى أن وعت ما يعني، كانت بين ذراعيه، يضمها بسلطة.

وتمتم:

ـ أنت جميلة.. كل شيء فيك جميل، يا فتاتي الجميلة.

أغمضت عينيها وابتسمت، تدس أصابعها في شعره.. وفكرت إنه جميل كذلك! لكنها تمنت لو يعرف كم مضى عليها من وقت لم تستسلم فيه لعناق رجل..

لحظات فيما بعد بدأت تقاوم..

صوته الأجش أعاد إشعال الخوف في نفسها. الخوف الذي يغمر الفتاة عندما تعرف أنها ستفقد السيطرة على نفسها، وفي حالتها هذه هناك خوف إضافي في أن تصبح عدداً إضافياً في لائحة الغزوات السهلة لرجل سينساها ما إن تعود إلى موطنها.

جذبت نفسها منه، وبدأت تقاومه بعناد:

ـ أرجوك.. أرجوك كاسبار.. أتوسل إليك!

تركها كاسبار فوراً، وقفز واقفاً. وجهه متشدد وغاضب.

ـ لا تخافي.. لن أجبرك.. لكن، هذا ما سيحدث لك يوماً لو أعدت فعل هذا.

استدار ليقف ظهره لها، يضرب راحة يده بقبضته.

قالت بصوت منخفض متألم:

ـ أنا.. لم أكن أحاول ممازحتك.. لا أستطيع.. أنا آسفة.. آسفة حقاً.

لم يرد ولم يستدر أو يفعل أي شيء ولوقت طويل سوى الوقوف هناك، وأنفاسه العميقة تهدأ ببطء. أخيراً التفت إليها.. وتعابير وجهه غير غاضبة، لكنها ما زالت متجهمة.

ـ اشرحي لي، وبوضوح هذه المرة أرجوك، لماذا لا تستطيعين.

أجابت تتجنب عينيه:

ـ الرغبة ليست حباً.. قلت إن الوقت حان لنصل إلى النهاية الحقيقية للحب.. لكننا لا نحب بعضنا، وأنا لا أستطيع. إنها غلطتي.. كان يجب أن أعرف، أنني مع أفكاري الغريبة، لم يكن من العدل الاستمرار في مقابلتك.. بالنسبة لي، يجب أن أكون ملتزمة بعمق.. وإلا، فسأشعر بأنني رخيصة، مبتذلة.

ـ فهمت.

لكن، هل فهم حقاً؟ هل هذا منطقي بالنسبة له؟ وأكمل:

ـ في هذه الحالة، أرجو أن لا تمانعي لو طلبت أن تعذريني على خطتنا للذهاب إلى «لاكا»؟

ـ لا.. بالطبع لا.. ربما من الأفضل أن نتودع.

ـ أظن هذا سابقاً لأوانه إن كنت باقية هنا حوالي الأسبوع. باكسوس جزيرة صغيرة، فلنقل فقط «أديو» إلى اللقاء.. أيمكن؟

راقبته يلتقط منشفته، وثوب السباحة الأسود.. وبعد لحظات اختفى.

في الصباح التالي كانت وسادتها مبللة بالدموع التي ذرفتها ليلاً.. وكانت تحس بالتعب والبؤس.. كانت واثقة أنها لن ترى كاسبار ثانية، وأن حياتها ستعود إلى ما كانت عليه قبل أن تلتقيه.. مجرد فراغ

عاطفي.

مرتين نزلت الشاطىء لتستحم، وأمضت بقية اليوم في الشقة.. لكن الساعات مرت، ولم يأت.. ولماذا يأتي؟

كانا قد خططا للذهاب إلى «بارغا» في اليوم التالي.. قررت أن تذهب في هذه الرحلة بنفسها لأنها غير قادرة على تحمل البقاء وحدها.. حين أوصلها التاكسي إلى ميناء غايوس، كان أول من شاهدت.. كاسبار.

حيته بارتباك:

ـ صباح الخير.

ـ مرحباً ديانيرا.. أذاهبة إلى «بارغا»؟

هزت رأسها.

ـ تمتعي بوقتك.

هز رأسه مودعاً وابتعد نحو منصة بيع الدخان.

صعدت العبّارة وهي ساخطة لتصرفه اللامبالي، ووجدت مكاناً تجلس فيه.. وبدا لها أنها الراكب الوحيد الجالس في عزلة. كانوا أزواجاً أو جماعات.. وتساءلت لماذا جاء كاسبار إلى غايوس، ورفضت الاستسلام لإغراء إلقاء نظرة أخرى عليه.

خرجت العبّارة من الميناء ولمحت من طرف عينيها ساقين ترتديان بنطلون جينز.. للحظة ظنته البحار قادم لجمع الأجرة من الركاب، لكن ساقي هذا الرجل طويلتان.. رفعت رأسها لترى كاسبار ينظر إليها.

قال: اشتقت إليك بالأمس.

ـ وأنا اشتقت إليك.

ـ هل لي أن أجلس؟

أزاحت دي حقيبتها عن المقعد.. وهو يبتسم، جلس بين

www.elromancia.com

المرأتين الجالستين على مقعد واحد، وقال بصوت حاول أن لا يسمعه أحد:

ـ آسف لغضبي منك ذلك اليوم.

ـ كنت أستحقه.. أنا الآسفة.. لقد أعطيتك سبباً لتغضب مني.

بدأت ابتسامته ترفع أطراف فمه:

ـ صديقان من جديد؟

ـ طبعاً.

ـ عظيم.. تابعي قراءة كتابك.

من حسن حظها أنها كانت تضع نظارة شمسية أخفت دموع الفرح التي ترقرقت في عينيها عن الناس الذين كانوا يراقبونهما على سطح المركب.

أحنت رأسها تتظاهر بالقراءة، لكنها كانت في الواقع تحاول منع الدموع من التساقط، وهي تتمتع ببهجة الإحساس بذراعه خلف كتفيها.

خمس دقائق وطوت الكتاب، تتمتم:

ـ لا أستطيع التركيز الآن.

اشتد ضغط الذراع على كتفيها، وقال كاسبار قرب أذنها:

ـ كنت أتسكع قرب الميناء أملاً في أن أراك.. لو لم تأتِ لأتيت للبحث عنك.

ـ لماذا لم تصعد المركب معي؟ لتعاقبني فترة أطول؟

ـ لا.. كان هناك ما يجب أن أقوم به.. ولم يخطر ببالي إلا بعد أن رأيتك.

شيء ما في صوته جعلها تنظر إليه في الوقت المناسب لرؤية تعبير غريب على وجهه الأسمر.

ـ ما هو الذي كان يجب أن تقوم به؟

رد مخادعاً:

ـ مشوار لإنجاز مهمة.. أرجو أن تكوني جئت معك بلوازم السباحة..

شكت في أن يكون غيابه لإنجاز المهمة له علاقة بشراء شيء يسترضيها به، لذا لم تعد تطرح المزيد من الأسئلة لكنها لم تستطع إلا أن تتساءل ما هو، وما هو ذوق كاسبار.

دفعت دي كل الأفكار من رأسها واستسلمت للتمتع بيومها..

كانت بحيرة «بارغا» التي يعود تاريخها إلى القرن الرابع عشر هاجعة على كتف تل، ومن الخلف جبال «ابيبروس» الشاهقة.. إلى الشمال من هذا خليج ممتد، وإلى الجنوب الجزء الجديد من البلدة مع الميناء.. من خلف كل هذا، شاطىء سباحة آخر يطل على عدة جزر صخرية.

في الواجهة البحرية عدة مقاهي، واقترح كاسبار أن ينعشا نفسيهما بشراب بارد قبل التجول في البلدة. بينما اتجه الكثيرون نحو المحلات التي تحتوي على بضاعة كثيرة تفوق ما في محلات «غايوس».

سأل كاسبار وهما يحتسيان المرطبات تحت ظل مظلة:

ـ هل نبدأ باستكشاف البلدة؟

مع أن البلدة كانت قريبة جداً من الميناء، إلا أن الشوارع الشديدة الانحدار في نهايتها كانت مبهجة.. وتوقف كاسبار عند مخبز واشترى الخبز الطازج الساخن.. تسلقا ببطء بين المنازل العتيقة المدهونة بالأبيض، بنوافذها الخضراء اللون الباهتة، ولم يكن لبارغا مشكلة مع الماء مثل باكسوس، فلقد كان خلف الأبواب الحديدية أيكات خضراء مزهرة بأزهار حمراء.. هنا وهناك كان العجائز من رجال ونساء يجلسون في الجانب الظليل من الشارع ويحيون المارين بودية.

ولو أن الرحلة تركت لهم وقتاً أطول، لكانا هبطا من الجانب

الآخر للتل نحو الخليج الشمالي.. لكن المركب عائد في الثانية والنصف، وبدا أن من الأفضل استغلال الساعتين المتبقيتين، بالعودة والسباحة على الشاطىء الجنوبي.

حين جلسا على الشاطىء الصغير سألها كاسبار:

ـ ماذا فعلت بنفسك يوم أمس؟

ـ لا شيء كثير.. أحسست باكتئاب لشجارنا، فأنا لا أحب الشجار..

ـ بالمقارنة مع العديد من الفتيات بمثل سنك، أنت متحفظة بشكل ملحوظ.. ولو كنت أقل جاذبية، لاستنتجت أن لا خبرة لك مع الرجال.

ترددت دي.. كانت تهم بأن تقول له إنه لا خبرة لها إطلاقاً.. ولو عرف هذا لأصبح من السهل عليه أن يفهمها ويغفر لها تصرفها. لكنها قالت:

ـ قال لي مورتيمور واتنغ إن الرجال في اليونان ينظرون إلى كل الأجنبيات على أنهن عابثات لا أخلاق لهن، ويتصيدن أي شيء.. هل هناك بعض الحقيقة في هذا؟

ـ البعض.. أجل. لكن لو كان لي مثل هذه الفكرة عنك لصرفت النظر عنها سريعاً.. فالفتيات العابثات عادة يقمن بنصف السعي.. في حالتنا قمت وحدي بكل السعي، وطوال الوقت كنت تتراجعين.. وأعدك أنني لن أحاول التحرش بك مرة أخرى.

قالت بلهفة:

ـ إذا كانت هذه نواياك من قبل فلماذا غيرت رأيك؟

أدارها نحوه بإحدى يديه على كتفها، ثم رفع ذقنها بالأخرى:

ـ لأن هناك الكثير من الأشياء الأخرى يتمتع فيها الرجل مع المرأة.: الصداقة، الضحك، السباحة، تناول الطعام.. العلاقة التي

تعتمد على الرغبة لوحدها ليست علاقة ثرية.

ـ أوافق معك.. لكن علاقة دون رغبة غريبة في عصرنا هذا.

ـ لم أقل إنني لن أرغب بك، أو أعانقك، لكن هكذا فقط.

ولثمها على جبينها ثم تساءل: أيعجبك هذا؟

ردت مترددة: لا.. لا بأس.

لمعت أسنانه البيضاء في الشمس وهو يميل إلى الخلف ضاحكاً.

ـ النساء أكثر المخلوقات تقلباً في الرأي! لقد خاب أملك..

إعترفي.

ـ لا.. لم يخب أملي.. أنا فقط.. مندهشة.

أمسك يدها:

ـ فلنذهب لتناول الغداء.

أفضل مطعم في الواجهة البحرية كان قرب المكان الذي سبحا فيه، في أقصى طرف للرصيف حيث تستدير الطريق في زاوية إلى اليمين.

تقدم الساقي وسجل طلباتهما، وبعد أن أصبحا وحدهما قال لها كاسبار:

ـ أنت الأنثى الوحيدة هنا التي لم تتسوق شيئاً.

ـ لقد اشتريت ما يكفي في غايوس.

وتذكرت خاتم رأس الكبش، وتساءلت ما إذا كان لا زال موجوداً.

ـ لقد قمت ببعض المشتريات هناك، وأرجو أن يعجبك ما اشتريت.

أخرج من جيبه علبة صغيرة وضعها على الطاولة أمامها.

ـ هدية؟ كم أنت لطيف كاسبار!

وحضرت نفسها لإظهار الحماس لأي شيء قد تحتويه العلبة..

www.elromancia.com

من الواضح أنه خاتم، ولربما أحد الرؤوس الفضية لكبش شاهدت عدة نماذج له.

فتحت العلبة. كان بالفعل خاتم برأس كبش، لكن ليس واحداً من النوع الفضي الرخيص.. بل كان الخاتم الذهبي الذي أعجبها.

شهقت وهي مذهولة:

ـ كاسبار! أوه.. يا للسماء! أوه.. ما الذي دفعك إلى شراء شيء مبالغ في ثمنه كهذا؟ إنه جميل.. عظيم.. لكن، لا يمكنني القبول به.

ـ لكنه الخاتم الذي أردته، أليس كذلك؟ أكد لي الرجل في المحل أنه الذي جربته وأعجبك.

ـ أجل.. أعجبني.. وكثيراً. لكنه غالي الثمن جداً كتذكار ولقد أثر بي كرمك، لكن..

ـ إنه ليس تذكاراً، فالتذكار يعني الوداع.. هذا الخاتم هو للمستقبل.. مستقبلنا.. أريدك أن تتزوجيني ديانيرا.

***

٥ ـ تثق به ولكن..

خطف الخاتم أنفاسها.. لكن ما قاله كان محطماً للأعصاب. مد كاسبار يديه عبر الطاولة وهي تجلس كالمصدومة، وأمسك يديها.

ـ أريدك ديانيرا.. ليس فقط لبضع ليالٍ، بل لما تبقى من حياتي.. أن تكوني أماً لأولادي، أحبك وأظنك تحبينني.. دعيني أضع هذا الخاتم في يدك الآن.. ثم وفي أسرع وقت يمكننا ترتيب أمور الزواج، ستحصلين على واحد آخر.. خاتم الزواج.

قبل أن تتمكن من استعادة وعيها أخذ الخاتم من العلبة ونزع خاتم توم، ووضع مكانه رأس الكبش الذهبي.. ثم وضع خاتم «الجوزاء» في الاصبع المجاور.

ـ بدا قضاء يوم أمس من دونك هجراناً كاملاً لي. أحسست وكأنني خسرت جزءاً مني.. أنا..

صمت مع تقدم الساقي بالخبز والجبن، بعد بعض التعليمات من كاسبار انحنى وابتعد مبتسماً.

بدأت دي تستجمع شتات نفسها.. وسألته:

ـ ألست متهوراً قليلاً؟ أنت تعرفني منذ فترة قصيرة.. ألا يجب الانتظار مدة أطول قبل...

هز رأسه بنفاد صبر.

ـ لسنا أطفالاً صغاراً.. الانتظار ضروري لكل الشبان لأنهم لا

www.elromancia.com

يعرفون أنفسهم كما يعرفها الأكثر نضوجاً.. إذا كان الرجل يعرف نفسه فهو لن يخطىء أبداً في اختيار المرأة التي تناسبه والعكس بالعكس.

صمتت، ممزقة بين سعادتها بأنه يريدها زوجة له وبين شكوكها التي لها أسس قوية في أن يكون هذا الزواج ممكناً بينهما.. بغض النظر عن كل الأمور، كيف يمكن لها أن تترك انكلترا ما دام جدها على قيد الحياة.

أكمل كاسبار ممازحاً:

ـ الآن تفهمين أنني سأعدك بالتصرف بحرص شديد.. لأننا في وقت قريب جداً سنكون معاً ليلاً نهاراً دون الإساءة إلى أي رمز أخلاقي مهما كان متزمتاً.

هزت رأسها محمرة الوجه.

ـ لكن، كاسبار، كما أخبرتك في وقت سابق.. العلاقة تعتمد على أكثر من هذا.. فمهما كان مقدار شوقنا لبعضنا البعض هناك أمور أخرى نفكر بها.. خلفياتنا العائلية والاجتماعية مختلفة جداً.. أيمكن أن يتمازجا؟ وكيف؟

ـ الغد يكفي للتفكير بالأمور العملية.. أما اليوم فمخصص فقط للسعادة.. آه ها قد جاء طعامنا.

كان الوقت مساءً بعد أن عادا في قارب كاسبار من غايوس إلى لوغوس مروراً بكوخه دون التوقف هناك، حين تمكنا من تبادل أول عناق مناسب اليوم. فما إن أقفل باب شقتها خلفهما، حتى رفعها بين ذراعيه، وضمها بشوق.. وقال بصوت أجش:

ـ أيتها الفتاة الرائعة لقد دخلت إلى رأسي بقوة أقوى من المخدر.

افترقا وهما يبتسمان، فقالت دي:

ـ أتعرف أنني لا أعرف بعد اسم عائلتك.

علا وجهه تغيير غريب وارتدى قناعاً قلقاً:

ـ كان اسم عائلة أمي برنانوس.

ـ اسم عائلة أمك؟

ثم لاحظت ارتباكه، فقالت بسرعة:

ـ أين ستتعشى الليلة؟ في أحد المطاعم المحلية، أم تريد تجربة قدراتي بالطبخ؟

ـ إذا كنت لا تعرفين الطهو الآن، فستتعلمين.. وأظن أنه من الأفضل أن نتعشى في مكان عام.. صحيح أن نواياي شريفة، لكن، أن أكون معك وحدنا سيؤدي إلى التأثير بهذه النوايا.

أدهشها أن يكون هناك طفل ولد في باكسوس منذ ثلاثة وثلاثين سنة دون أب معروف.. في تلك الأيام كان الشاب يجبر على الزواج من الفتاة التي تسبب في حملها.. لكن لا بد من وجود سبب مميز لعدم زواج والد كاسبار بأمه.. ربما فقد في البحر كما يحصل للصيادين دائماً.

التفكير بأنه كبش محرقة لغباوة أبويه ملأ نفسها بالغضب، وبرغبة شرسة لتعويضه عن أية آلام عاناها وهو طفل. وهذا ما دفعها إلى الإمساك بيده، والقول:

ـ أحبك كاسبار.. أحبك كثيراً.

قال بتعبير كئيب:

ـ حتى إن كنت لا أملك شيئاً أقدمه لك؟

ـ لديك كل شيء حبيبي.. أنت رجل، وهناك قلة من الرجال في عالمي.. لقد خنثتهم المدنية.. يمارسون الرياضة والحمية لتبقى أجسامهم متناسبة.. العالم الحديث يقف في مكانه، لا يتقدم.. وعلينا أن نعود إلى الطرق القديمة.. وأنت قادر على هذا.

أجابها ضاحكاً:

ـ في باكسوس، لا زالت الطرق القديمة هي الوحيدة.. سأنزل إلى

القرية لأطلب الكركند لعشائنا . .

بعد ذهابه فكرت : كل وسائل الراحة في شقتها في لندن لم تمنعها من أن تكون وحيدة فيها . . العمل كان ترياقاً فعالاً لها في الماضي لأن مشاعرها العميقة أصبحت مشلولة بالصدمة والألم بعد خسارتها لتوم . . لكن، الآن، وبعد أن أعاد كاسبار إحيائها، فكيف ستتحمل العودة إلى تلك العزلة التي تسيطر عليها والتي عاشت فيها زمناً طويلاً؟

طرق كاسبار الباب :

ـ لقد عدت . . لقد طلبت الكركند وهم في انتظارنا .

ـ عظيم! سأخرج بعد دقيقة .

قالت دي بإعجاب وهي تنظر إلى المائدة التي حضرها كاسبار في المطعم :

ـ يبدو أنك تستسلم أمام إغراءات مرتفعة الثمن كاسبار . . هذا الخاتم الجميل المتهور السعر الذي اشتريته لي، والآن هذا العشاء الفاخر، كركند!

ـ إنها مناسبة تمر مرة في العمر . . فأنا لم أخطب من قبل .

قالت : أعتقد أن عليّ تعلم اليونانية . . لكنها عملية صعبة، ماذا عن اختلاف الألف باء، والنطق باللغة وكتابتها؟

ـ اليونانية الحديثة ليست صعبة بنصف ما تبدو . . مع أن القواعد أكثر تعقيداً من الإنكليزية . . لكنك فتاة ذكية، وسرعان ما تتعلمينها .

لكن دي لم تكن واثقة أنها تشاركه ثقته . . فهناك فتاة كانت معها في المدرسة، أوصلها الزواج إلى اسبانيا، وقالت لها إن تعلمها الإسبانية كان فاشلاً لأنها لم تجد من تتكلم معه . وهي تتذكر هذا، تصورت نفسها تعاني ذات المشكلة . . فلو عاشت هنا، فستفقد إلى الأبد القدرة على الثرثرة في مواضيع عملها، الأمر الذي تعتبره الدم الذي يجري في عروق أية فتاة عاملة .

ولو فكرت قليلاً لأدركت أن عملها كذلك سيزول وإلى الأبد والناس تقول: «ما لا تملكه، لا تفتقده»، والعمل أيام توم كان للمساعدة في الوفاء باحتياجات الحياة إلى أن يؤسس نفسه . لذا كان عملها بالنسبة لها أكثر جدية . . لقد ملأ حياتها بحيث استغنت عن معظم النشاطات التي تقوم بها الشابات عادة في وقت فراغهن . . ألن تفتقد لكل هذا؟

وصل الكركند، أمام نظرات الحسد من الناس على الطاولات الأخرى في المطعم . . فيما بعد، ومن مكان ما تناهت إليهما أصوات أنغام موسيقى «البوزوكيا» إضافة إلى صخب الحديث، وقف كاسبار وهو يساعدها على الوقوف :

ـ سأعلمك الرقص . . يجب أن تتعلمي الرقص في يوم زفافنا .

وضع ذراعه على كتفيها في فسحة خلف الطاولات، وبدأ أولى الخطوات البطيئة . . وجاء سؤال من زوجين إنكليزيين شابين :

ـ هل لنا أن ننضم إليكما؟

قال كاسبار ضاحكاً :

ـ بالتأكيد . . كلما زاد العدد أصبح الرقص أكثر مرحاً .

في وقت قصير أصبح هناك ثمانية أشخاص في حلقة الرقص . البعض جرب الرقصة من قبل والبعض لا يعرفها مثل ديانيرا . . صاح كاسبار بشيء إلى شاب يوناني من باكسوس، فركض الشاب لينضم إلى الراقصين .

بعد انتهاء الرقص تهالك الجميع على الكراسي لاهثين، ما عدا كاسبار والشاب . قال رجل مسن لزوجته :

ـ لن يوجد شيء كهذا في بلادنا، مضى زمن طويل لم يرقص فيه شبابنا بهذا المرح والنشاط كهذين الشابين .

انحنى كاسبار له :

ـ شكراً لك سيدي . . لكن لماذا لا تنضم إلينا؟

ـ لا . . أنا عجوز يا عزيزي الشاب . ولا أستطيع القفز والدوران كما تفعل . .

لم يكن مدهشاً أن يجذب صوت المرح في الميناء انتباه السياح في مراكبهم . . وانضم زوجان أميركيان، مع ابنتين فاتنتين لهما إلى الراقصين . . بعد ذلك انضم ملاحو المركب: قبطانان أشقران زرقاوا العيون، والعضو الثالث في الفريق كان فتاة، شقيقة أحدهما، وهي الطباخة .

بعد مزيد من الرقص، وجدت نفسها تقف قرب القبطان الذي عرفها كاسبار به على أنه صديق قديم . وقدمت له نفسها:

ـ مرحباً . . أنا ديانيرا تشايمير . . سمعت أنك وكاسبار صديقين .

للحظات بدا لها وكأن عيناه الزرقاوان كانتا مرتبكتين قليلاً، وكأنما لا يعرف عم تتكلم، لكنه على الفور قال لها بحرارة:

ـ أنا مسرور بمقابلتك ديانيرا . . أتعجبك باكسوس؟

ـ كثيراً . . شكراً لك . . حتى ولو لم أقابل كاسبار، لكنت تمتعت بإقامتي هنا .

اندست ذراع حول خصرها وقال كاسبار:

ـ نسيت أن أقول لك حبيبتي أن أكثر أصدقائي يعرفوني باسم برنار، اختصار لاسم عائلتي برنانوس . . اسم كاسبار غريب خارج اليونان . . ولا أعتقد أنني اعترفت به لك حين كنا معاً، صحيح ڤيك؟

ابتسم الرجل:

ـ لا . . لم تفعل . . كاسبار . . هه؟ لقد أربكتني للحظات دي، ولم أستطع أن أعرف من هو كاسبار .

سألت دي محتارة:

ـ إذا كان الجميع يعرفك باسم برنار فلماذا طلبت أن أناديك باسم

كاسبار .

ـ إنه الاسم الذي كنت أعرف به وأنا طفل، كانت تناديني به أمي وجداي . . وكل من كان قريباً مني . . وبما أنك ستكونين الأقرب، بدا لي أنه الاسم الأنسب .

والتفت إلى القبطان الأشقر مبتسماً:

ـ ديانيرا وأنا . . سنتزوج ڤيك .

ارتفع حاجبا صديقه المبيضان من الشمس:

ـ حقاً؟ هذا رائع! تهنئتي برنار . . لو أن ديانيرا فاتنة كمظهرها، فأنت رجل محظوظ جداً . . وأنت محظوظة كذلك ديانيرا . . لا أستطيع التفكير بأي شخص أفضل منه في المواقف الصعبة . . لن أخوض في تفاصيل المخاطر التي عشناها معاً . . لكن ثقي بكلامي، إنه رجل صلب في حالات الطوارىء .

قالت:

ـ أعرف هذا . . فلقد التقينا بهذه الطريقة . . لقد أنقذني من عاصفة في البحر .

ـ حقاً؟

قال كاسبار:

ـ لا شيء يستحق أن يسمى إنقاذاً . تعطل محرك مركبها وجررتها إلى الشاطىء . . هذا كل شيء .

ـ منذ متى تعرفان بعضكما؟ أتعملين في الجزيرة؟

هزت رأسها نفياً . . وأجاب كاسبار:

ـ لقد التقينا منذ أكثر من أسبوع بقليل . . ونحن مخطوبان منذ أكثر من عشر ساعات .

مع ارتفاع حاجبي ڤيك، قال صوت أنثوي:

ـ هل أسمع خبر خطوبة؟

وتقدمت الزوجة الأميركية، وقدّمهما ڤيك لها، كان اسمها ڤيڤيان.. وقالت:

ـ هذا يدعو إلى احتفال، فلنعد جميعاً إلى اليخت نحتفل. برايس حبيبي.. تعال لتتعرف على شابين مخطوبين لتوهما.

شكت دي في أن يكون للمرأة الأميركية دوافع خفية لهذه الدعوة.. لكن، سيكون من المرح زيارة المركب الفخم حيث حضرت ميني، الطباخة، وبسرعة طعاماً خفيفاً ومرطبات للاحتفال.. وقال مضيفهما لكاسبار:

ـ لدي إحساس أننا التقينا من قبل.. هل هذا ممكن؟

هز كاسبار رأسه: لا أظن.

لكن دي لاحظت أن ڤيك نظر بسرعة إليه نظرة محترسة فسّرتها على أنها تعني أنه يظنهما التقيا من قبل.. وربما في ظروف من الأفضل نسيانها.. ولا شك أن هناك شيئاً دفع ڤيك أن يقول:

ـ سترى العشرات من أمثاله في أي ميناء يوناني.. إن الشعر المجعد والمظهر الذي أجهده الطقس، هما المألوفان..

قالت الإبنة كارلا:

ـ لا أدعوه مظهراً أجهده الطقس.. أتمنى أن يكون لبشرتي لون مثله.

قالت ڤيڤيان:

ـ برنار أطول من معظم اليونانيين، وليس له عينان سوداوان ولبرايس ذاكرة غريبة للوجوه.. ولو كان يظن أنكما التقيتما من قبل، فسأقول إنه محق على الأرجح.. حتى ولو كنتما مررتما ببعضكما في الشارع.

رد كاسبار بصوت غير مكترث:

ـ هذا ممكن.. لقد زرت سان فرانسيسكو، وعدة مرافىء أميركية

أخرى.

قال برايس:

ـ سأتذكر.. أعطني الوقت فقط.. لو شغل بالي شيء أفكر به قبل أن أنام ثم أستيقظ صباحاً لأعرف الرد.. أتعرفين أن بإمكانك إثارة عقلك الباطن بهذه الطريقة ديانيرا؟

ـ لا.. لم أكن أعرف.

ـ يجب أن تجربي، فالطريقة فعالة جداً. في الواقع أنا أعزو قدراً كبيراً من نجاحي في الحياة إلى قوة عقلي الباطن.

متجاهلاً ضحك ابنته الصغرى، طفق برايس يدافع عن نظريته.. وكان الوقت قد تجاوز منتصف الليل حين رافق كاسبار ديانيرا إلى باب شقتها.. وبدلاً من معانقتها، قبّل يديها، ظهراً وباطناً.

وقال مودعاً:

ـ إلى الغد حبيبتي.

كما فعلت ليلة التقيا راقبته من التراس.. الميناء كان صامتاً خالياً الآن، مع أن الأنوار فوق اليخت كانت لا تزال مشتعلة.. جذف كاسبار مبتعداً عن الرصيف، لكنه اتجه إلى اليخت.. ثم شاهدت طيف ڤيك يظهر على السطح وينزل السلم إلى حيث التقى كاسبار وهو في مركبه.. ووقفا هناك يتكلمان، واضح من تقاربهما أن كلامهما كان همساً، ولا يريدان أن يسمعهما أحد.

أخيراً عاد كاسبار إلى مقعده، وتسلق ڤيك السلم، ثم اختفى أسفل المركب.

بعد شروق الشمس مباشرة في الصباح التالي، ذهبت دي إلى الشاطىء المجاور فوجدت قبطان اليخت هناك، ولم يكن وحده، كان برايس والقبطان الآخر في الماء، وڤيك يجلس ليجفف نفسه.

استرعى وقع أقدامها على الحصى انتباهه، ونقدم منها وألقى عليها

تحية صباح ودية.

ـ أنت من المستيقظين باكراً من النوم.. ڤيڤيان وابنتيها يحببن استقبال النهار في وقت متأخر.. مع إنني أظن أن ليني مستيقظة الآن وأعتقد أنها مشغولة بتحضير الفطور.

ـ أنا أستحم صباحاً في مثل هذه الساعة منذ وصولي إلى هنا.. هل كشف عقل برايس الباطن له أين شاهد كاسبار من قبل؟

ـ لو أنه رآه قبلاً فهو لم يذكره بعد.. في الواقع أشك في أنه شاهده.

ـ منذ متى أنت وكاسبار.. برنار، تعرفان بعضكما؟

ـ منذ سنوات طويلة، مُذ كنا أولاداً.. والداي كانا من أوائل الأجانب اللذين اكتشفوا باكسوس.

ـ لا شك أنك تظنه متهوراً لطلبه يد فتاة يعرفها منذ وقت قصير.. أليس كذلك؟

رد السؤال:

ـ أتشعرين أنك متهورة لقبولك به؟

ـ أجل.. أعتقد أنني أشعر بهذا. لو أنني رأيت فتاة أخرى في مثل موقفي، لظننتها على الأرجح مجنونة.. لكنني كنت سأحسدها أيضاً.

ـ وهل حددتما يوم الزفاف؟

ـ لا.. لم نناقش هذا بعد، ولا أية تفاصيل.

ـ كما أعرف برنار فلن يكون هناك تفاصيل كثيرة ولو كان لأمك شخصية قوية وتصميم على رؤيتك متزوجة حسب التقاليد، فأنا أعتقد أنك ستجدين نفسك في مشكلة.. مع أنه يقال بأن الحب يصنع المعجزات.. ولو أردت زواجاً تقليدياً، فقد يوافق.

ـ عائلتي الوحيدة هي جدي.. حتى ولو كان لي أم فأظنها كانت ستقاوم زفافي إلى يوناني بشدة. وكما قلت أنت، كاسبار ليس بالضبط

ما يعنيه الناس بكلمة مرغوب.. أوه، أنظر، ها هو!

وأشارت إلى قارب يدنو منهم، فوضع ڤيك كفيه حول فمه وصاح ليلفت اهتمام صديقه. لوّح كاسبار لهما لكنه لم يغير اتجاهه، وعرفت دي أنه سيترك قاربه في الميناء ويأتي سيراً للانضمام إليهم.

كانت في الماء عندما وصل.. وكان برايس ودايڤ يجففان نفسيهما وڤيك جالساً ينتظر. تكلم كاسبار مع الرجال الثلاثة، ثم خلع الجينز، ونزل البحر لينضم إليها.

قال لها وهما عائدان، وذراعه حول خصرها:

ـ كم هي مدّة الإنذار الذي عليك تقديمه لتتركي عملك، ونستطيع أن نتزوج؟

ـ شهر.. لكنني أعتقد أن هذه مسألة يجب أن نناقشها.

ـ وماذا هناك لنناقشه؟ لا يمكنك الاستمرار في العمل بعد أن نتزوج.. ستكونين مشغولة جداً كزوجة لي.. وسأطلب اهتمامك الكامل.

ـ لكن، كاسبار، قد لا يكون هذا ممكناً.. على الأقل ليس فوراً.. كيف سنعيش؟ أيمكنك كسب ما يكفي لإعالة شخصين؟

ـ طبعاً.. وإلاّ لما طلبت منك الزواج لو لم أكن قادراً على الاعتناء بك.. أما بالنسبة للزفاف، أظن أنه يجب أن يتم في انكلترا كي يحضره جدك، فحسب ما فهمت منك أن ليس له قدرة على السفر بعيداً.

ـ وماذا عن كل أقاربك؟ ألن ترغب أن يكون أحداً منهم موجوداً؟

ـ من وجهة نظري، أسرع وأهدأ زفاف هو الأفضل.. شهر عسلنا هو الذي يهمني.. أين سنذهب لأولى ليالي حبنا؟

ـ لا أعرف، سيكون شهر تشرين الثاني يومها، وهو ليس بالشهر المناسب في انكلترا.. حتى هنا، سيكون الطقس بارداً. أليس كذلك؟ كم هو بارد وممطر كاسبار؟

ـ في تشرين الثاني؟ نحصل على كمية وافرة من المطر.. ربما لعشرة أيام أو أكثر.. لكن الطقس لن يكون بارداً.. في الأيام الجافة تشرق الشمس، وفي الليل سأدفئك بنفسي.

كانت دي سيدة نفسها لوقت طويل بكفي لئلا تتقبل الاعتماد الكامل على زوجها. وبتشجيع من جدها كانت قد اتخذت منذ مدة طويلة، خطوات ذكية للاهتمام بالمسائل المالية.. وهي ليست مستعدة الآن أن تتخلى عما اعتادت عليه، وترك هذا الجانب من حياتها لكاسبار. لكنها كانت أذكى من أن تخوض معه في موضوع كهذا قبل الفطور.

قبل أن ينهيا فطورهما، جاء ڤيك إلى الشقة مودعاً.

ـ تقول النشرة الجوية إن هناك عاصفة قادمة، ليست خطيرة، لكنها تكفي لاضطراب الركاب.. لذا سننطلق الآن لإلقاء نظرة سريعة على «لاكا» ثم نتجه شمالاً.. عقل برايس الباطني خذله قطعاً هذه المرة، فهو لا يذكرك حتى الآن برنار.

هز كاسبار كتفيه:

ـ لم أفكر أبداً بأنه سيتذكر.. فذاكرتي أنا أيضاً ليست ضعيفة، وأنا لم أره من قبل. مع أنني شاهدت الكثير من شاحناته في أميركا.

وقف وصافح صديقه:

ـ سعادة لي أنني التقيت بك هنا ڤيكتور.. بلّغ تحياتي إلى والدتك عند عودتك إلى الوطن.

ـ لن يطول الأمر الآن.. وسنعود إلى انكلترا الوطن خلال شهرٍ أو ما يقاربه.. وشكراً لله، فهذه الجزر مريعة في الشتاء.

أدرك أنه قال شيئاً دون تفكير فسارع وأضاف:

ـ لكنني شاهد لا يعتمد على كلامه.. فلولا المال الذي أجنيه من الملاحة، لما كنت استطعت الخروج من «نورثهامبتون شاير».. وفي

الواقع يمكنني أن أحيا وأموت في أرضي المباركة..

قال كاسبار معلقاً بخشونة:

ـ لكن بما أن أرضه المباركة تمتد إلى عدة آلاف من الفدادين، ومنزله «قصر» فحالته حالة خاصة.

سألت دي: حقاً؟ وما اسم منزلك؟

أخبرها مضيفاً:

ـ أتعلمان أنكما لو قررتما زيارتنا لاغتبطت أمي برؤيتكما.. لن أقترح أن تدعونا للزفاف لأنني حسبما أعرفك يا صديقي القديم ستجعلها مراسم خاصة، وعلى أقل قدر من الضجة.. يجب أن أذهب الآن، فأنا لست سيد نفسي هنا.. إلى اللقاء ديانيرا.. أمي ستكون متلهفة لمعرفة أن شريك جرائمي أيام المدرسة أوشك أن يتخلى عن حريته.. فهي تظن أن عليّ أنا أيضاً أن أتخلى عن حريتي.

سلّم عليها، وصفع كتف كاسبار، ورحل.

علقت دي:

ـ أعتقد أن صداقتك لڤيك وأنتما طفلين، هي الأساس لإنكليزيتك الجيدة التي لا تصدق.

هز كاسبار رأسه دون تفكير، فأكملت:

ـ سأعدّ المزيد من القهوة.

ودون انتظار رده ذهبت إلى المطبخ..

عندما عادت كان كاسبار قد أزاح كرسيهما بحيث يتمكنا من مراقبة اليخت عند إقلاعه.. وسألته:

ـ أيكسب ڤيكتور كثيراً من الملاحة؟

ـ أعتقد هذا.. لو لم يكن الأمر يستحق العناء مالياً لما قام بهذا العمل.. كان الإبحار هوساً بالنسبة لوالده وقد صرف مالاً كثيراً على هذا الهوس. عندما مات منذ ثلاث سنوات ترك اللايدي پولين في

ظروف حرجة نسبياً.. وأراد ڤيكتور أن يبيع اليخت الذي كان آخر تبذير لأبيه، لكنه تلقى نصيحة بالاحتفاظ به.

- أعتقد أن بإمكانه تقاضي أجور أكبر بسبب تعبه النبيل؟

- تعرفين هذا.. أليس كذلك؟

- أخبرتني كارلا.. وشككت أن يكون لأمها طموح بأن تزوجه.

- إنها تضيع وقتها. لقد كان هدفاً لأمهات راغبات في تزويجه لإحدى بناتهن ولوقت طويل.. ولن يعلق الآن.. إضافة إلى هذا فهو يحب فتاة يعرف دون أدنى شك أنها لا تهتم أبداً بلقبه وتفضله دونه.

- ولماذا؟

- لأنها في وضع غير عادي لوراثتها لقب بارونية.. وهما الآن في مأزق، لأنها تحب منزل العائلة كما يحب ڤيكتور منزله. إن أحداً منهما غير مستعد للتخلي عن منزله.. لكن استبقاء المنزلين أمر مستحيل، وإذا كان هناك حل وسط فهما لم يتوصلا إليه بعد.

- بالحديث عن الحلول الوسط، وبما أنك «صاحب المهن السبع» وليس لك عمل ثابت.. قد نصل إلى حل.. هذا، إذا كان ما قاله ڤيك صحيحاً إن الجزر هنا مريعة في الشتاء. تساءلت عما إذا كان من الأفضل أن نقضي صيفنا هنا وشتاءنا في شقتي في لندن!

- ڤيك يبالغ.. الطقس هنا أفضل بكثير من شتاء نورث هامبتون شاير.. وهو لا يلاحظ الطقس السيء هناك، إلا إذا منعه من الصيد.. فهو مولع بانكلترا كرد فعل على ولع أبيه بالبحر المتوسط.

- لكن أكون غبية إن تخليت عن شقتي الصغيرة الرائعة وعملي الناجح لذا يمكنني الاستمرار بعملي لبعض الوقت من السنة.

- وماذا تقترحين أن أفعل بنفسي خلال هذه المدة؟

- لست أدري لكن لا بد من وجود عدة إمكانيات.

قال بإصرار:

- لا.. لن ينجح هذا.. بالدرجة الأولى أرى أنك ستجدين صعوبة بالاستمرار بعملك على أساس العمل في الشتاء والتوقف في الصيف. وأن أبقى طوال الشتاء محجوزاً في شقة في لندن فهذا لا يناسبني أبداً.

- لكن كاسبار.. يمكنني كذلك أن أقول إن قضاء الشتاء في كوخك لن يناسبني أنا أيضاً.. لن نستطيع التفكير بمستقبلنا على أساس ما يفضله كل منا. يجب أن نتسامح مع حاجات كل منا.

- وحاجات أولادنا.. فأنا أحب أن تكون لي عائلة.. ربما لن ترغبي في إنجاب الأطفال، فأنا أعرف نساء لا يحببن هذا في هذه الأيام.

- لكنني أحب.. وسأكون سعيدة جداً أن أكون أماً لأبنائك.

لم تكن معتادة على أن ينظر إليها بعناد، ويرد:

- إذن، بما أنك في الرابعة والعشرين وأنا في الثلاثينات، فليس هناك وقت لنضيعه.

- وهل سنتحمل البدء بتأسيس عائلة الآن؟ لا أعرف ما هي خطط المستقبل لديك.. أو كم تملك من مال ادخرته.

مال نحوها وأمسك يديها وضمها بين يديه بحزم:

- ليلة أمس عندما تكلمت عن القليل الذي يمكن أن أقدمه لك، قلت لي إن هذا لا يهم وإن ما تريدينه هو رجل يستطيع أن يعيش على أساس مبادئه، ويؤمن لك عيشك ويكون رجلاً يواجه الحياة بجدارة. فهل فكرت ثانية الآن ديانيرا؟ هل جعلتك رؤية أشخاص مثل برايس وزوجته يعيشون ببذخ تفكرين بأنك تفضلين العيش في فخامة أكثر مما سأقدم لك؟

- لا.. لا.. هذا غير صحيح. ولا حاجة لأن تقول لي إن الحب والصحة وما يكفي كطعام، هي أساس السعادة.

ـ إذن لماذا أنت قلقة على مستقبلنا؟ لماذا لا تثقين بي؟

تجدد الحنان في صوته وتصرفه دفع الدموع إلى عينيها.

ـ أوه.. حبيبي.. أنا أثق بك.. حقاً.

وقف يجذبها معه، ويضمها بين ذراعيه بشدة:

ـ لاتبكي أيتها الفتاة الحمقاء.. لا شيء يستدعي البكاء.

تمتمت متلعثمة:

ـ أنا لست.. حقاً.. الأمر فقط.. السعادة هكذا جديدة عليّ حتى أنني.. لا أستطيع تحمل أن يفسدها أي شيء.

رفع وجهها إليه:

ـ لن يفسدها شيء.. إن وثقت بي.

قالت بأنفاس متقطعة: أثق بك.. وسأبقى.

في اليوم التالي سألته دي إذا كان بإمكانها الذهاب إلى الكوخ لتقيس الغرف وتقوم برسمات لتعيد تصميم الداخل.. شعرت بأن هذا الاقتراح لم يعجبه، لكن بعد قليل من التفكير هز كتفيه ووافق.

الانطباع الثاني عن الكوخ لم يكن مشجعاً.. وهي تقيّم في وضح النهار الإمكانيات بعين الخبير، كان استنتاجها أن كونل سيعتبره زريبة.. فضيلته الوحيدة مركزه المطل على البحر.

كأنما أحس بشيء مما يدور في خلدها فقال:

ـ ربما بعد سنة أو سنتين ستتمكن من بناء منزل جديد هنا. في جنوبي فرنسا، وأجزاء من إسبانيا، مثل هذا المنظر يُشترى بثمن مرتفع.. وحتى هنا أسعار الأراضي ترتفع.

ـ أجل، إنه موقع رائع.. شريطة أن لا تكون الطريق من هنا إلى الطريق الرئيسية وعرة هكذا ومتلوية.. المشكلة الكبرى في البناء في الجزر هي الحاجة إلى استيراد كل المواد من مكان آخر.. وهذا سيضيف الكثير على الكلفة.. مثلاً، هذه النوافذ التي تفتح إلى الداخل

لا تصد الماء أبداً و...

ـ لهذا لدينا مصاريع خشبية.

ـ صحيح، لكن من سيرغب في إقفال المصاريع الخشبية كلما اكفهرت السماء؟ ثم إن النوافذ هذه من الصعب تصميم الستائر لها.. كونل دائماً ينصح زبائنه باستبدال هذه النوافذ بالألمنيوم لأنها سهلة الاعتناء وعملية أكثر.

اشتد فم كاسبار:

ـ أرجو أن لا يؤثر كونل على حياتنا كثيراً.

احمر وجهها:

ـ هذا ظلم! أنا لا أتكلم دائماً عنه. لكن اسمه يجب أن يظهر في أي نقاش عن ديكور المنازل.

ـ بصراحة أظن أنه من الأفضل ترك القياسات إلى ما بعد، ليس لديك سوى بضعة أيام متبقية هنا.. فدعينا نتمتع بها.

ـ لكن الوقت سيفوت.. إذا لم أشتر القماش وأغطية المصابيح من لندن، فمن أين سأشتريها؟ لن أجد منها في «غايوس» بالتأكيد.

ـ ربما لا.. لكن من الممكن أن لا نعود إلى هنا في الشتاء.. وأنا لا أعني أنني غيرت رأيي حول العيش في لندن.. هناك أماكن أخرى الطقس فيها رائع في الشتاء كما هو هنا في الصيف. ربما نجرب حظنا في أحد هذه الأماكن.

ـ نجرب حظنا؟

ـ ربما في إحدى جزر الكاريبي.. ليس هناك مجال للشكوى من الطقس هناك.

ـ لكن، أين سنعيش، وكيف؟

ـ ستتدبر أمرنا.. هناك مجال لجني المال في مجال التزلج الشراعي.

- أتعني تعليم الناس استخدامها؟

- وبيعها.

غاص قلب دي.. لو كانت في الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة وهو أكبر منها بسنة أو اثنتين، فصورة المغامرة حول العالم معه كانت ستملأها بالترقب والإثارة. لكن ليس الآن، ليس وهو يريد أطفالاً في أسرع وقت ممكن.

- أظن هذا سيؤخر اللحظة التي سنواجه فيها الواقع كاسبار.. بالتأكيد إذا كانت جذورك في باكسوس، فأين تريد لأولادك أن يربوا؟ كلما أسرعنا في تحويل هذا المكان إلى منزل مريح كلما كان أفضل.. علم التزلج الشراعي هنا في الصيف القادم.. وفي أثناء هذا وفر كل هذه العضلات لتجديد الكوخ.

- حسن جداً إذا كان هذا ما تريدين.. لكن انهي القياس فيما بعد.. الآن أريد أن أعانقك ثم نذهب لنسبح.

تلك الليلة بعد أن تركها، أخذت تدرس الرسومات التي وضعتها للكوخ وكيف سيبدو بعد أن تعود إلى لندن.. كاسبار لن يستطيع السفر معها فلديه أشياء تشغله في أثينا وسينضم إليها بعد أسبوعين.. بعد إنهاء بعض الأعمال مع ابن عم له.

كانت آخر أيامها في باكسوس فترة سعادة متكاملة.. كانا يفطران معاً على تراسها وحتى العشاء كانت ساعات الشمس تمر كحلم يوم ذهبي. كان كاسبار يجعلها تضحك، يجعلها تشعر كم هي جميلة.. ودائماً كان يجعلها ترتجف شوقاً إلى حبه.. ولا بد أنه يحبها بعمق حتى يكون قادراً على السيطرة على شوقه الذي تعرف أنه موجود دائماً في نفسه.

كانت بحاجة إلى مثل هذه الطمأنينة، لأنها في أعماقها لم تكن واثقة بعد.. ربما لأنها كانت تشعر أن ما يحدث لها سعادة أكبر من أن

تدوم.

فيما بعد، حطم الشجار المفاجيء المتفجر في آخر يوم لها انسجامهما، وذكرها بالعاصفة الهوجاء التي سببت لقائهما أولاً.. كانا في الشقة ولعدة دقائق تعالت أصواتهما حتى أمكن سماعها في الشارع على الميناء.

لكن جدالهما لم يستمر طويلاً.. فقد انتهى حين اندفعت دي إلى انتزاع الخاتم الذي أعطاه لها.. ومدت يدها به إليه.. قائلة:

- أظن من الأفضل أن تستعيد هذا.. وأظن أننا كنا على وشك ارتكاب غلطة!

***

٦ ـ حب بشروط . . .

حدّق كاسبار بها، صامتاً، متجهم الوجه.

أخيراً، قال بصوت هادىء:

ـ أظن أننا نحتاج إلى بعض الوقت لنهدأ. . سأخرج قليلاً لكنني سأعود.

عندما خرج، حدّقت في الخاتم الذي تلبسه في يدها اليمنى، ثم وضعته على الطاولة وخرجت إلى الشرفة، وهي تشعر بأن الأيام التي سبقت كانت جنة من الأوهام.

أن يحصل بينهما مثل هذا الخلاف الشرس بعد وقت قصير من إعلان حبهما لبعضهما، جعلها تدرك كم كان هذا الحب هشاً. .

كان من الواضح أن كاسبار يريد زوجة تذعن إلى أحكامه في كل شيء. . ومن الواضح أيضاً أنها لا يمكن أن تفعل هذا. . لقد كانت راشدة ومستقلة لفترة طويلة، ولن تقبل أن يُصرف النظر عن آرائها، وأن يتغاضى عن رغباتها لمجرد أنه ذكر وهي أنثى. . تصرفه هذا بدائي العهد، وغير مقبول أبداً في العصر الحالي.

غاب حوالي الساعة. . وعندما عاد كانت دي توضب حقائبها، مع أن رحلتها لن تبدأ من مطار كورفو قبل وقت متأخر من بعد ظهر اليوم التالي. . حتى العبّارة لن تغادر غايوس قبل السابعة والنصف، ولا يتوقع وصولها قبل الثامنة صباحاً.

عند دخوله من الباب كانت تضع قميصاً في الحقيبة. . فاستقامت لتواجهه وهي تتساءل عن مزاجه الآن إن كان هادئاً أو متكدراً.

تقدم مباشرة إلى حيث تقف، ووضع كلتا يديه على كتفيها.

ـ هل أنت مستعدة للصلح؟ أنا مستعد.

هزت رأسها:

ـ أنا آسفة لأنني فقدت أعصابي، لكنني لا أستطيع التراجع في كلامي. . أنت تطلب الكثير مني كاسبار. . كل التنازلات ستكون من جانبي وأنت لن تتخلى عن شيء إلا إذا كنت تعتبر حريتك تضحية.

صاح، بنصف تسلية ونصف سخط:

ـ أوه. . يا إلهي! أيتها الأنثى العنيدة! إذا كنت مستعدة بأن تسلمي قطعاً أنني لن أضربك. . وأنني سأكون أباً جيداً لأولادك، فلماذا لا تثقين بأن أعيلك أنا؟ لن ينقصك شيء. . أعدك بهذا، وأقسم لك. . لكنني لا أستطيع أن أثبت لك الآن وبالأخص هنا. . يجب أن تثقي بي.

تقريباً، جعلها تتردد. . تقريباً.

بعد تردد قصير، تنهدت وهزت رأسها يائسة:

ـ لقد حدث كل شيء بسرعة كاسبار. . أن نلزم أنفسنا العمر كله لمجرد قوة الأيام القليلة الماضية أمر غير طبيعي، وأدرك أن علينا أن ننتظر لنعيد التفكير بمشاعرنا. . لكن كيف يمكن أن تفعل هذا وأنت يوناني وأنا إنكليزية، وحياتنا لا تنسجم بأية طريقة؟

رد دون تردد:

ـ لست بحاجة إلى إعادة التفكير بمشاعري. . لكن إذا كنت غير واثقة فعلى الأقل لنكن متفقين حول هذا، ونفترق على وفاق، لا على غضب. . ستتناولين العشاء معي. . أليس كذلك؟

هزت رأسها مع أنها لم تكن تشعر برغبة بتناول شيء.

ـ أجل. . حسن جداً.

طيلة الوقت وخلال آخر وجبة لهما، كانت حنجرتها تؤلمها بدموع لم تذرفها.. الحديث الذي كانا يتبادلانه كان حديث غرباء، لا حبيبين..

وقعت شوكة دي من يدها دون أن تنتبه.

ـ أنا آسفة، لست جائعة الليلة.

ـ أعرف.. وأنا كذلك.. لا أستطيع تحمل رؤيتك متكدرة.. أيجب أن ننهي الأمر بيننا هكذا حبيبتي؟

ـ ليس إذا جئت معي إلى لندن.. لماذا لا تستطيع كاسبار؟ قلت لي بنفسك ذلك اليوم إن سكان هذه الجزيرة قد انخفضوا إلى النصف لأن أكثرهم هاجر.. ما دام هؤلاء اليونانيين استطاعوا أن يبنوا لأنفسهم حياة جديدة في أميركا وأوستراليا، فلماذا لا تأتي معي إلى انكلترا؟ ما الذي يربطك بـ «باكسوس»؟

كان يساعدها في تسلق مرتفع من الطريق وهما يتجهان إلى المنزل، فتوقف وأمسك وجهها بين يديه:

ـ ليس الأمر ما يربطني بباكسوس، فأنا قادر على مغادرة باكسوس دون أن أعود أبداً إن اضطررت.. ولست مضطراً للبقاء هنا ديانيرا. الأمر فقط أن الرجال دائماً، وعبر التاريخ، كانوا من يقود والنساء تتبع.. ولن أستطيع تغيير مبادئي الغريزية في هذا السياق.

قالت بمرارة:

ـ بالنسبة لمعظم المتمدنين الزواج شراكة بين شخصين متساويين هذه الأيام.

ـ أجل وإلى مدى كبير، لكن النساء لسن قادرات على تغيير تركيبتهن الجسدية.. فهن مضطرات دائماً أن يحملن الأطفال. وأن يتوقع المرء منهن أن يكن زوجات، أمهات، وعاملات، في نفس الوقت، هو حمل كبير عليهن.. لذلك فالنساء هذه الأيام تعاني من

ضغوطات وأزمات نفسية لن أسمح لزوجتي أن تتحملها.

عرفت أن من غير الجدوى أن تجادله.. فأفكاره متجذرة جداً.. وأكمل بنعومة:

ـ في الحياة، كما في الحب، لن يضير المرأة أن تأخذ زمام المبادرة أحياناً، وأن تلعب الدور الرئيسي.. لكن الطبيعة جعلتني أطول قامة وأقوى بنية لأدافع عنك وأحميك.. كي آخذ أنا وتعطي أنت..

أحنى رأسه وعانقها بخفة، فهمست:

ـ إذن عانقني... عانقني..

بينما كان يأخذها بين ذراعيه أدركت أنها لن تقدر مرتين في العمر أن تتحمل العذاب الذي أحست به بعد وفاة توم.. كان يجب أن تظل ليلة مع كاسبار ليلة واحدة تَذكرها إلى الأبد.

لو لم تترك باب الشقة مفتوحاً..

لو لم تترك أحد المصابيح مضاءً..

لو لم يلمح الخاتم يلمع على الطاولة حيث تركته..

إذن، لكان تغير كل شيء.

دخول الشقة، التي لم تكن في ظلام كامل، كان يختلف عن دخولها ونور القمر وحده دليلهما.. مع ذلك لم يكن هذا ليؤثر لولا الخاتم.. فما إن أنزلها كاسبار على الأريكة ومد يده ليطفىء المصباح، حتى رأيا معاً لمعان الذهب الذي كان يمثل مستقبلهما المشترك.

التقطه.. وحاول إعادته إلى أصبعها.. لكنها سحبت يدها بسرعة. وقالت متلعثمة:

ـ لا.. لم أقصد أنني.. أننا..

عبوس، شد حاجبيه الأسودين إلى الأسفل:

ـ لكن ماذا كنت تقصدين؟

وضعت يديها على خديه:

ـ لا تتوقف عن عناقي حبيبي.

ـ أتعنين أنك تريدينني، ولا تريدين أن تتزوجيني؟ أنا لا أريد جسدك فقط.. أريدك كلك قلباً وروحاً.

تمتمت: لك قلبي كاسبار.. أنا أحبك.. لكنني لا أستطيع الزواج منك.

ـ هذا عادة ما يقوله الرجال للنساء عندما يرغبون بقالب حلوى، يأكلونه.. ولطالما ظننت بنات جنسك غبيات للوقوع في هذه الحيلة.. ولم أكن لأفكر يوماً أن أكون أنا من يتلقى هذا.. على أي حال، لم يعد هناك سوى رد متعقل واحد.

كان قد دس الخاتم في رأس إصبعها، لكنه انتزعه وأعطاه لها..

ـ إذا أردتني فتزوجيني.

***

لم تكن ديانيرا الراكب الوحيد المنتظر لوصول العبارة في الصباح التالي.. فقد كان هناك أربعة أشخاص مع أمتعتهم ينتظرون على الرصيف.

حتى آخر لحظة، كانت تأمل أن يظهر كاسبار، بحراً أو براً، وأنه قد يأتي معها..

حتى عندما عرجت السفينة إلى «لاكا» لالتقاط المزيد من الركاب كانت لا تزال تشعر بشيء من الأمل في أن يكون بين المنتظرين.

لكن ما إن انطلقت العبارة نحو البحر، حتى تأكدت أنهما افترقا إلى الأبد.. وأن ما قاله لها ليلة أمس كان إنذاره الأخير، وهي رفضته.. ولم يعد هناك ما يقال.. عدا الوداع.

عندما وصلت العبارة إلى كورفو كان هناك بعض الوقت لاستكشاف العاصمة قبل الاتجاه إلى المطار.. وتجولت ديانيرا على غير هدى في الشوارع المكتظة لنصف ساعة، ثم أجبرت نفسها على تناول القليل من الطعام في أحد المطاعم.

وكم كان حسناً ما فعلت، فوجبتها التالية لم تكن كما توقعت أن تكون عشاء مبكراً على الطائرة المتوجهة إلى لندن.

كانت الطائرة قد بدأت بالإقلاع عندما أحس الركاب بحركة غريبة، سببها كوابح الإطارات.. وسرعان ما أعلن القبطان أن أحد المحركات لم يكن يعمل بطريقة مرضية، وطلب من الركاب أخذ حقائبهم اليدوية والعودة إلى مبنى المطار.

بعد عدة ساعات، أبلغوا خلالها أن عليهم انتظار طائرة أخرى تأتي من «غاتويك» لتقلهم. كانت ديانيرا ورفاقها منتظرين في غرفة المغادرة الصغيرة المكتظة، في المطار الصغير.. يراقبون بحسد الطائرات الأخرى التي تقلع في الوقت المحدد.

بما أنه ليس هناك من سيستقبل ديانيرا في لندن، وبما أن معها الكثير من الكتب للقراءة، كان من الممكن أن تتقبل التأخير باتزان، لا تشعر سوى بالأسى على الناس الآخرين من المتعبين، وممن معهم أطفال مشاكسين.

لكن، مع حالتها الحالية وشعورها بأنها محطمة نفسياً، الصوت المزعج وعدم وجود مكان تختلي به بنفسها، كانا أكثر مما تحتمل.. ثم سمعت المذياع يقول إن العشاء معد لهم في أحد الفنادق، وبإمكانهم البقاء هناك حتى منتصف الليل.

في نهاية الأمر كانت الساعة قد تجاوزت الواحدة والنصف صباحاً عندما صعدوا إلى متن طائرة.. وقدمت لهم صينية الطعام المعتادة، بعد أن نام معظمهم.

أغمضت ديانيرا عينيها لكنها لم تستطع أن تنام. لقد مضى عليها الآن أكثر من أربع وعشرين ساعة منذ أن كان كاسبار يحتضنها بين ذراعيه.. وبدا لها هذا العمر كله.. فكيف ستتمكن من العيش لأسابيع وأشهر قبل أن يخف الألم؟

في الرابعة صباحاً بتوقيت لندن، كانت تفتح باب شقتها.. وكانت قد تركت السرير مرتباً بمفارش نظيفة.. وحددت المنبه على السابعة والنصف.. وما هي إلا ثوان من تسلقها الفراش حتى كانت نائمة بسرعة البرق.

تناولت الغداء مع أماندا ديسموند، التي قالت بعد سماعها بما حدث لرحلة الطائرة:

ـ ما كان يجب أن تأتي إلى العمل اليوم. أربع وعشرين ساعة سفر، وثلاث ساعات نوم! لا عجب أنك تبدين متعبة بعد عطلتك.

ـ سأعوض عن النوم الليلة.. ألم يعجبك لون بشرتي؟

ـ أجل.. أنت بنية اللون بشكل ممتاز.

سألتها عن باكسوس، لكنها لم تشر إلى الأسبوع الإضافي الذي طلبته على إجازتها.. وكانت دي وقد أحست أنها مدينة بتفسير ما، من تطرق للموضوع بالسؤال:

ـ ماذا قال كونل عن تمديد إجازتي؟

ـ لقد مدد رحلته إلى أميركا، لذا فهو لا يعرف بغيابك، على أي حال بما أنك مخلصة جداً لعملك منذ انضممت إلينا لا يمكنه معارضة القليل من الوقت الإضافي.

ـ كنت.. على وشك أن أقتنع بالبقاء في باكسوس بصورة مستمرة.

بينما كانت ترفع شوكة مليئة بالسلطة إلى فمها، توقفت أماندا تسأل:

ـ حقاً؟ اعتقدت أنه هو كذلك في عطلة هناك.. لكنه يعيش هناك كما يبدو؟ من هو؟ كاتب؟ فنان؟

ـ إنه يسمي نفسه صاحب المهن السبع.. إنه ابن البلد، من باكسوس.. واسمه كاسباريوس برنانوس.

مع أنها لم تكن معتادة أن تفضي بأسرارها إلى أحد سوى جدها، إلا أنها وجدت نفسها تخبر أماندا القصة الكاملة لعلاقتها مع كاسبار.. حتى تلك الظروف التي أوصلت إلى إنذاره الأخير..

قالت أماندا مفكرة:

ـ أجد هذا أمراً غير طبيعي. النساء كن يسعين إلى خاتم الزواج منذ أجيال بعيدة.. والفتيات الراغبات هذه الأيام يفقن عدداً من هن غير راغبات.. لكن من سمع من قبل برجل يقول «لا»؟

بدأت ديانيرا تندم على هذا الكشف الخاص.. ليس لأنها تظنه سيحط من رأي أماندا بها.. لكنها فكرت لماذا اعترفت بكل هذا لأماندا وهو أمر شخصي لو لم تكن متعبة لما اعترفت به.. وسألت أماندا:

ـ ذلك الشجار عندما أعدت له خاتمه.. ما كان سببه؟

ضحكت دي ضحكة فارغة:

ـ حول التصريف الصحي..

ـ التصريف الصحي؟

ـ التصريف الصحي في باكسوس يصدم المرء إذا لم يكن يعرف به.. ولو عرفت به مسبقاً لما ذهبت، ولكان أمراً مؤسفاً لأن الجزيرة جميلة.. والأوجه البشعة قليلة يمكن تحملها في نطاق عطلة.. خاصة بالنسبة لي وأنا وحدي هناك.

ـ أتعنين أن المراحيض قديمة الطراز تجري مياهاً فوق الأرض؟ يا للسماء، وفي الطقس الحار..

ـ لا . . ليست سيئة إلى هذا الحد، أو على الأقل ليس في أي منزل عرفته أو سمعت به.

ـ لا يمكنني تحمل هذا لوقت طويل . . خزان صحي تحت الأرض وأنابيب مناسبة يمكن أن تحقق لأي منزل تصريفاً صحياً حديثاً حتى لو كان في آخر العالم.

ـ وهذا ما قلته لكاسبار حول الكوخ . . قلت إنني لن أستطيع العيش فيه دون ماء ساخن وبارد في المطبخ، ودون خزان في الحمام.

ـ أتعنين أنه كان يتوقع منك أن تتقبلي كل الأشياء غير المناسبة التي كانت جدته تتحملها؟

ـ ربما لا . . لست واثقة . . كان غامضاً في تصرفه . . وأنا كنت عدائية بدل أن أقنعه . . وكان الشجار سخيفاً كمعظم الشجارات.

ـ هل كان الرجل الجذاب الوحيد هناك؟ ألم يكن هناك رجل إنكليزي جذاب؟

بعد ثلاثة أيام جاءت أماندا إلى مكتب دي:

ـ هناك شخص يسأل عنك في صالة العرض . . كنت تخبئين عني أشياء دي . . إنه إنكليزي وجذاب جداً، وأنت التقيته في باكسوس، ألا يعني اسم مورتيمور واتنغ لك شيئاً؟

للحظات لم تتذكره دي، ثم ما لبثت أن تذكرت المحامي الذي حذرها من الثقة بكاسبار . . فقالت بارتياب:

ـ جذاب جداً؟

لكن بعد دقائق اكتشفت أن مورتيمور في شارع «سلون» يختلف تماماً عن مورتيمور الذي عرفته في «غايوس» . . كان يرتدي بذلة أنيقة التفصيل، وهو يتمشى في صالة العرض بدا أنه في محيطه الخاص كما كان كاسبار فوق رصيف الميناء . . كيف سيبدو كاسبار هنا؟ في غير مكانه على الأرجح . . لكن سيبقى مرحباً به ألف مرة أكثر من هذا

الرجل.

أجبرت نفسها على رسم ابتسامة على شفتيها: مرحباً مورتيمور.

استدار وتعبير وجهه المتشوق ينقلب إلى تحديق مذهول وهو يستوعب مظهرها في ثياب العمل. الشعر الناعم المصقول والزينة الحديثة والقميص الحريري والتنورة الصوفية المثناة.

ـ ديانيرا . . ! يا إلهي! ما كنت لأعرفك لو أنني صادفتك في الشارع . . تبدين مذهلة . . ليس كما كنت في باكسوس، بل بطريقة مختلفة.

قالت بلطف وهي تمد يدها لتصافحه:

ـ وأنت أيضاً يقال عنك ذات الشيء مورتيمور . . متى عدت؟

صافحها قائلاً:

ـ منذ ما يكفي لأن أفقد معظم اللون الأسمر الذي اكتسبته. كنت آمل أن أتمكن من إقناعك بتناول الغداء معي.

ـ لطف منك لكنني لا آخذ أكثر من عشرين دقيقة فرصة للغداء . . أحتفظ بساندويش وقهوة في مكتبي.

ـ في هذه الحالة ماذا عن العشاء؟

ترددت دي وكانت تشعر أنه ينوي الإصرار . . وسيكون من المحرج أن ترفض دون عذر مقبول.

ـ حسن جداً . . شكراً لك.

أخرج من جيبه دفتر مواعيد وقلماً:

ـ أعطني عنوانك، سآتي لاصطحابك حوالي السابعة والنصف، أم أن هذا موعد مبكر جداً؟

ـ لا . . إنه مناسب تماماً.

بعد نصف ساعة وهي تتناول غداءها دخلت أماندا:

ـ لا أتصور أن السيد واتنغ جاء ليقول مرحباً. هل نجح في أخذ

موعد منك؟

ـ أجل.. للعشاء الليلة.

ـ عظيم.. حتى ولو لم يؤثر عليك كثيراً في باكسوس، لا يمكنك الاستمرار في دفن نفسك في العمل كما كنت تفعلين قبل عطلتك.. الحزن على توم شيء، وبدؤك بالاحتجاب عن الرجال بسبب حبٍّ صعقك في عطلة لم ينجح هو أمر آخر.

من التعليقات المختلفة التي قالتها أماندا، منذ أسرت دي لها بقصتها، بدا واضحاً أنها تتصور كاسبار رجلاً عملاقاً وجميلاً وذو عضلات قوية لكن دون دماغ.. ولم تكن دي قد أخبرتها عن صداقته مع فيكتور الذي قال عنه: لو كان لي أخت فسأكون سعيداً أن أراها زوجة برنار.

كان كاسبار قد قال لها: عندما تغيرين رأيك فاكتبي لي. وأعطاها عنواناً في أثينا، يصل البريد عبره إليه، أينما كان.. مع ذلك وكلما حاولت تغيير رأيها تتذكر الفروقات بين حياتها في انكلترا، والحياة التي عرضها عليها في باكسوس.. مهما أحبته، أيمكنها أن تكون سعيدة دون الرفاهية التي اعتادت عليها هنا وخاصة عملها؟

أول موعد عشاء لها مع مورتيمور كان ممتعاً. وهي تقوم بواجبها كضيفة له لم تكن قادرة على التفكير بكاسبار.. ولم يحاول استمالتها ليدخل معها إلى منزلها أو يعانقها مودعاً.. من الواضح أنه يحب العمل البطيء، وربما هذا أمر متوقع من أبناء مهنته.

لكنها رفضت موعداً لنهاية الأسبوع شارحة أنها سوف تذهب لرؤية جدها.. عندئذ عرض عليها أن يوصلها بسيارته ثم يذهب ليتمشى في الوقت الذي تزور فيه الرجل العجوز.. لكن حين اعترضت لم يحاول الضغط عليها، وقال:

ـ سأتصل بك الأسبوع المقبل إذن.

يوم الأحد لاحظت دي أن جدها مختلف قليلاً ما إن عانقته.. ادعى أنه على ما يرام، لكنها تمنت أن يكون ما لاحظته محض خيالها، وأن غيابها عنه هو الذي جعله يبدو ضعيفاً بعض الشيء وبطيء الحركة أكثر من ذي قبل. لكن وبما أنه لا يمانع بأن يكون عجوزاً، فقد كانت له حياة سعيدة، وكان سعيداً مع الجدة. وحتى الآن لا زالت كتبه عنده، فهو يعيش في محيط تزينه الكثير من الذكريات اللطيفة، القليل منها فقط مؤلم مثل خسارة ابنه الوحيد مثلاً.

لكن إن عاشت حتى أصبحت في مثل سنه فماذا لديها لتتذكر؟ ماذا يستحق التذكر سوى الحب؟

عندما أوشكت على إنهاء زيارة جدها قال:

ـ عزيزتي.. أنا لا أرغب بالتطفل على شؤونك لكنني أشعر أن هناك ما يزعجك.. عدة مرات اليوم، ضعت في أفكارك وفي تعابير وجهك غير السعيدة.. هل هناك أية مساعدة يمكن أن أقدمها لك؟

لم تكن قد وعت أنها كانت مشتتة الذهن إلى أن ذكر جدها هذا الكلام، ثم ولأجل طمأنة جدها وراحة بالها جزئياً، أخبرته بعضاً من الحقيقة بأنها فقدت قلبها ليوناني جذاب بكل غباء ثم توقفت عن الكلام.

ـ لكن هذه المشاعر الرومانسية في العطلات لا تأتي بنتيجة أليس كذلك؟ سأتغلب عليها.. فأنا التقيت كذلك برجل إنكليزي لطيف، وكنت أتناول العشاء معه منذ عودتي، إذاً أنا لست في عزلة عن الناس.

لم يعلق الجد، بأكثر من قوله:

ـ فهمت.. وأنا مسرور لأنه نجح بإقناعك بالعشاء معه.. هناك الكثير من الوقت الذي يقضيه المرء في أمسيات وحدة وخاصة في أواخر سنينه.. لا تبددي جمالك سدى يا طفلتي العزيزة، قد لا تفكرين بهذا بعد لكنك ستجدين أنه من المذهل أن تمر السنوات

بسرعة.

عاد كونل يلدرز يوم الاثنين ليعيد شحن الجو بالعمل الإضافي.. العمل كان يسير دائماً بسهولة لكن المعرفة بوجوده وأنه في مكتبه في الطابق الأعلى كان له تأثير كبير.

عند الصباح جلب البائع في صالة العرض زهوراً لـ «دي».. فتحت دي المغلف فوجدت اسم مورتيمور.. وفي الداخل دزينتين من الورود الحمراء الداكنة، وهذه لمحة مبالغ فيها لم تتوقعها منه.

ذلك المساء اتصل مورتيمور ليدعوها إلى المسرح يوم الجمعة.. فوافقت ثم شكرته على إرساله الورود التي وضعتها على مكتبها.

نهار الثلاثاء جاءها البريد برسالة مكتوبة بخط جدها المميز فأدهشتها هذه الرسالة خاصة عندما لاحظت خط جدها المتموج أكثر من ذي قبل.

قال إنه بعد التفكير بحديثهما يوم السبت يريدها أن تعرف أنه سينزعج جداً إن عرف أنها بسبب حبها له رفضت أي عمل يعرض عليها في الخارج أو أي عرض للزواج من رجل يريدها أن تسافر معه، ثم أنهى رسالته بكلام مرح يؤكد فيه صحة كل ما ورد في رسالته.

مع انتهاء شهر تشرين الثاني، كاد مورتيمور، الذي له دائرة واسعة من الأصدقاء، أن يدعوها للخروج معه كل ليلة لو أنها رغبت.. لكن دي كانت حذرة من أن تستمر علاقتهما، وأحبت أن توضح له أنه ليس الرجل الوحيد في حياتها.. واكتشفت أنها مذ عرفت كاسبار لم تعد سريعة الانزعاج من الرجال أو ربما كان هذا مرده أن أساليبهم أضعف بكثير بالمقارنة مع أساليب كاسبار.

تذكرت نظرة كاسبار ولهجته، وهو يطيح بها عن قدميها بعد أقل من أربع وعشرين ساعة من تعارفهما بدفئه المشبوب وحيويته. بطريقة ما، هو مثل كونل، قادر على أن يجعل الآخرين يتفوقون على

أنفسهم..

مع تقدم كانون الأول، أدركت أنه بالرغم من أن تزايد نشاطها الاجتماعي قد ساعدها على التوقف عن الاكتئاب إلا أن هذا كان ضعيفاً جداً. عندما لا يوجد ما يلهيها كانت تجد نفسها تفكر بكاسبار وتتساءل ما إذا كان لا زال يفتقدها.

بينما كانت تختار بطاقات المعايدة خطر ببالها إرسال واحدة له. لكن وبما أنه أوضح أنه يريد كل شيء أو لا شيء، قررت أن لا ترسل له شيئاً. قبل أسبوع من الميلاد كانت تمضي فرصة الغداء في «هارودز» تشتري هديتين أو أكثر.. فجأة التفت رجل عن منصة عرض، وصدم ذراعها بمرفقه.

ـ أنا آسف جداً.. عمل أخرق مني.. هل آذيتك؟

ـ لا.. أبداً.. ڤيكتور!

قال بأدب:

ـ أوه.. مرحباً.. كيف حالك؟

ـ أنت لم تعرفني أليس كذلك؟ أنا ديانيرا تشايمير.. التقينا في باكسوس.. كنت مع كاسبار برنانوس.. برنار.

ـ أجل.. خدعتني للحظات.. كانت ملابسك مختلفة يومها وشعرك أطول كما أعتقد.

ـ لا زال شعري طويلاً لكنني أثبته إلى أعلى بدبابيس.. الجو حار هنا بينما هو مثلج في الخارج.

ـ أجل، الجو هنا يصل إلى درجة الاختناق.. اسمعي لماذا لا نخرج معاً.. ونتناول بهدوء ما ينعشنا؟

ما إن تمتمت: حسناً.. حتى أخذ يقودها عبر جمهرة المشترين نحو أقرب مخرج.

أخذها إلى مقهى في فندق قريب.. حيث الهدوء كان نسبياً

بالمقارنة مع زحام المحل.

قالت بعد طلبه الشاي:

ـ أعتقد أنك برؤيتي هنا عرفت أنني وكاسبار.. أننا انفصلنا.. أم أنك تعرف هذا؟ لست أدري مدى اتصالك به.

ـ بإمكانك القول إننا نبقى على اتصال بشكل متقطع والذي حدث أنني التقيته منذ عشرة أيام في جنوبي فرنسا. كنت أمضي بضعة أيام مع جدتي في مونت كارلو وكان هناك.. في مركب يرسو في الميناء.

ـ فهمت.. وهل قال لك ما حدث؟

ـ لم يقل الكثير.. فقط أن الأمر لم ينجح بينكما.. إنه لأمر مؤسف. لم أشاهده من قبل في مثل تلك السعادة التي كان عليها في تلك الليلة في باكسوس.. كان كصبي يحب لأول مرة.. وربما تكون أول مرة يخسر فيها قلبه لفتاة.. أي رجل بجاذبية برنار لديه فرص كثيرة لأعمال أخرى لكن لا فرصة إطلاقاً لحب قديم الطراز يدوم العمر كله إلى أن يفرقه الموت.

كانت عيناه باردتين وهما تتفرسان بأناقتها اللندنية.. السترة الضخمة الخفيفة الوزن من الموهير البنفسجي الأزرق، مفتوحة لإظهار قميص ليلكي داكن، وتنورة رمادية شاحبة من القماش الصوفي، وحذاء بنفس لونها.. قلادة من «الجمشيت» الحقيقي تركتها لها جدتها كانت تلمع كالنار الأرجوانية على صدرها مع قرطين مماثلين في أذنيها.. وأنهى ڤيكتور كلامه وهز كتفيه:

ـ لكن ربما لم يكن هذا ما تريدين.

ـ بل كان بالضبط ما أريده. لكن كان هناك بعض العراقيل فالحب ليس إبحاراً سهلاً على الدوام.. كنت أظنك ستفهم هذا ڤيكتور.. فلقد أخبرني برنار القليل عن مشاكلك وأرجو أن يكون لها نهاية سعيدة أكثر من مشكلتنا.

فجأة ترقرقت الدموع في عينيها وارتجفت شفتها السفلى.. وهي تبحث في حقيبتها عن منديل دس ڤيكتور منديلاً في يدها ضغطته بقوة على فمها وتماسكت بشدة.. عندما ابتعد الساقي بعد أن قدم لهما الشاي كانت قد استعادت سيطرتها على نفسها.

ـ إذن أنت لا زلت تحبينه.. لماذا بحق الله انسحبت إذن؟

ـ في الأساس، لأن لي جداً عجوزاً جداً، قد يدعي أنه لا يحتاجني أو يشتاق إلي، لكن إذا مرض فلن أستطيع تحمل أن لا أكون معه.. لقد كان لي الأب والجد معاً.. وكزوجة لكاسبار لن أتمكن من المجيء إلى هنا والعودة متى شئت.. وهناك أسباب أخرى.. وهذه أنا كما تراني الآن الفتاة الحقيقية، لست الفتاة المنطلقة التي رأيتها في باكسوس ڤيكتور.. لقد أحببت الجزيرة، لكن ليس للحياة اليومية.. خاصة حين يسوء الطقس هناك.. الكتب والموسيقى والمعارض الفنية تعني الكثير لي.. و..

قاطعها:

ـ لكن برنار ليس بالرجل الريفي الأخرق تعرفين هذا.

ـ لا.. أعرف هذا. لكنه لم يقبل حتى التفكير بالمجيء إلى انكلترا، وأنا لا يمكن أن أكون سعيدة في باكسوس أكثر من سنة أو اثنتين لكن ليس إلى الأبد، ولا حتى مع كاسبار.

ارتشف ڤيكتور رشفة من الشاي مفكراً:

ـ فهمت وجهة نظرك. أجل. تلك الجزيرة للصيف فقط، إلا إذا كان باستطاعة المرء أن يبني منزلاً فاخراً هناك وربما يحتاج إلى طائرة هليوكوبتر لتسهيل أمر الانتقال إلى أقرب مطار عوضاً عن ساعات السفر بالعبارة.

ـ بالنسبة ليوناني مثل أوناسيس.. ثروته الخيالية ما من مشكلة.

ـ لا مشكلة عملية.. فالمال حتى الملايين منه، لا يمكن أن

يتجنب كل صعوبات الحياة.

ـ لا.. أعتقد هذا.

لا شك أنه كان يفكر بالإحساس القوي بالواجب نحو ميراثه الذي قال كاسبار إنه العقبة بين ڤكتور والبارونة المرتبطة بالتقاليد أكثر من ارتباطها به.. وسألها:

ـ أتظنين أنك مع الوقت ستنسينه؟

قالت بحزن:

ـ لا أظن.. منذ سنوات كنت مخطوبة لشاب لكنه قتل، وقد تغلبت على هذا ونسيته.. لم أتأكد من نسيانه تماماً إلا بعد أن التقيت بكاسبار.. فكيف أستطيع أن أنسى كاسبار وهو موجود.. في مكان ما.. وربما لا زال يحبني لكن حسب شروطه.

ـ أنا واثق أنه لا زال يحبك.. لكن أعتقد أنه سيكون دائماً حسب شروطه.. إنه هكذا. وهو كذلك من النوع الذي يلبّي طلبات زوجته مهما كان مستحيلاً ويحاول جاهداً وبنجاح..

صمت قليلاً ثم تابع:

ـ تقولين إنك الآن تبدين على حقيقتك.. لكن الرجل دون امرأة والمرأة دون رجل، لا يكونان مكتملين.. بل نصف آدميين.

ـ أعرف وهذا ما أؤمن به.. أوه ڤيكتور.. كم أتمنى لو أنني لم ألتق بك.. كنت أحاول أن لا أفكر به وأن أنساه لكن، الآن، وبالحديث عنه..

وتركت الجملة عالقة دون أن تنهيها. أمسكت فنجانها وبيد مرتجفة رفعته إلى شفتيها وهي تسأل:

ـ ما نوع المركب الذي كان يركبه؟ كم كان سيبقى هناك؟ هل رأيته كثيراً؟

ـ تناولنا الطعام معاً. وأبحر اليخت في الصباح التالي.. بالمقارنة

مع ذلك اليخت يبدو يختي قارباً.. كان أحد القصور العائمة التي لا نراها إلا في مونتي كارلو.. ومالكه أحد أكبر أثرياء أوروبا.

دون اهتمام قالت:

ـ أوه.. حقاً.. يجب أن أذهب الآن، لدي عمل ينتظرني، شكراً لك على الشاي.

عندما وقفت وقف ڤيكتور معها فسألته:

ـ هل هناك أمل أن تحل التعقيدات التي تعترضك بطريقة أكثر سعادة من تعقيداتنا؟

ـ ليس الآن، لكن على الأقل فاي وأنا نرى بعضنا دائماً، ولدي سكن مؤقت هنا نجتمع فيه من وقت لآخر.. ستصل اليوم بعد قليل، وفي الواقع حبها للأطفال سيتغلب على معارضتها في النهاية.

ـ إذن أنت أيضاً تنوي أن تحصل على مبتغاك؟

ـ أليس هذا ما تريده النساء؟

لم تقم بعمل كثير فيما تبقى من النهار، قدرتها على التركيز تشتتت بالمقابلة غير المنتظرة مع ڤيك.

تلك الليلة تناولت العشاء مع مورتيمور الذي حاول إقناعها بقضاء عطلة الميلاد أو جزء منها معه في منزل ذويه. لكنها اعتذرت باضطرارها إلى ملازمة جدها، فأكمل اقتراحه:

ـ ماذا عن سهرة رأس السنة؟ أيمكنك المجيء إلى منزلنا؟ أريدك أن تلتقي بأهلي.

غايته من تقديمها لأهله ليعرف رأيهم بها قبل إلزام نفسه بأية علاقة مقربة معها.. مورتيمور واثنغ كما تبين لها ليس رجل القرارات السريعة الجريئة.

كان يمكن للميلاد أن يكون مكتملاً لولا غياب كاسبار، وتساءلت أين يمكن أن يكون.. ربما لا زال على متن القصر العائم، حيث لا

شك أن الطاقم يتمتع بوقته.

بدا شهري كانون الثاني وشباط لدي وكأنهما لن ينتهيا.. في آذار مات جدها وهو نائم، وأوصى برغبته بأن تحرق جثته وأن لا يحفظ الرماد. وأكمل وصيته لحفيدته: كُتُبي هي ذكراي.. استبقيها أو تخلصي منها كما تختارين. الكتب تعيش زمناً طويلاً.. وأحب أن أفكر أن بعضاً من كتبي بعد قرن أو اثنين سيتم قراءتها والتمتع بها.. وأن تكون صفحات كتبي ذكرى أفضل من قبر فخم وشاهد غيرت الريح والشمس والمطر شكله.

أصيبت دي باكتئاب شديد مدة أسبوعين لأنها لم يعد لها أحد في العالم.. كان لها بعض الأصدقاء المقربين ولكن ليسوا كالأقارب.. صحيح أنهم أحياناً قد يكونون أفضل لكن ليس مثل القريب المحبوب والثمين.

أدركت تدريجياً أن الوجه الآخر لخسارتها كانت الحرية.. فهي لم تعد مرتبطة، حتى وظيفتها لم تعد أساسية.. فقد ترك لها جدها كل شيء، ليس في لندن، بل في أمكنة أقل فخامة تمكّنها من العيش دون عمل.. ليس إلى الأبد ربما لكن في الوقت الحاضر.

ذلك اليوم كان كونل رئيسها يتحدث معها في وقت لم يكن مشغولاً فيه فسألها:

ـ ما المشكلة دي؟

وأشار إليها بالجلوس.

لم يكن من عادة كونل اللف والدوران، كان دائماً يدخل صلب الموضوع ولا تفوته أية تفاصيل.. قالت بهدوء مستبقة السؤال الحتمي:

ـ أريد أن أقدم شهر إنذار لترك العمل.. عندما كنت في اليونان في أيلول الماضي طلب مني رجل أن أتزوج منه. واعتقدت أن الأمر لن

ينجح.. لكن منذ ذلك اليوم غيرت رأيي.. وأنا واثقة الآن من نجاحه.

حدق رب عملها بها بصمت.. لم يكن متزوجاً.. تقول أماندا إنه تزوج عمله. بدأ يطلق الأسئلة عليها.. اسم الرجل؟ مهنته؟ هل جاء إلى انكلترا ليراها؟ هل تراسلا؟

أخيراً قال: لا شك أنك مجنونة.

جلست في المقعد مستقيمة.. لكنها أبقت لهجتها لطيفة.

ـ أنا لم أكن أطلب رأيك.. بل أقدم استقالتي فقط.

ـ ستحصلين على رأيي بك.. أنت فرد ثمين جداً من فريق عملي، ولا يمكن أن أسمح لك برمي عملك ومستقبلك لأجل يوناني التقيته منذ ستة أشهر، ولم تريه منذ ذلك اليوم.

مرت خمس دقائق وكونل يؤنبها ويحاول إقناعها.

اغتنمت فرصة التقاط أنفاسه وقالت له:

ـ أقدر نواياك الطيبة كونل.. لكن ما أشعر به ليس اندفاعاً مجنوناً.. لقد كان لي الكثير من الوقت للتفكير، واتخذت قراري دون تراجع.. سأترك العمل بعد أربعة أسابيع.. أعرف كم أنت مشغول ولن أعيقك أكثر من هذا.

ذلك المساء بدأت تكتب رسالة إلى كاسبار، كان من الصعب عليها أن تجد الكلمات المناسبة فقد دس كونل بذرة شك في نفسها مفترضاً أن كاسبار لم يعد يحبها ويريدها.

كان لا يزال يحبها ويريدها في شهر كانون الأول حسب قول ڤيكتور. لكن الآن شهر آذار، ويكاد يليه شهر نيسان.. يمكن أن يحدث الكثير من التغييرات مع انقلاب السنة من فصل إلى آخر..

يجب أن أقابله شخصياً لأعرف ما إذا كان لا زال يهتم بي.. لكن كيف؟ متى؟ وكيف سأجده؟

ربما يعرف ڤيكتور.. وسألت الاستعلامات الهاتفية عن عنوانه

ورقم هاتفه، لكن الصوت الذي أجابها قال إن السير ڤيكتور في جزر الهند الغربية، حيث سيشارك في أسبوع سباق إبحار ولن يعود قبل شهر أيار.

بدأت دي تفكر أنه كان من الأجدر بها أن تطلب إجازة أسبوع تطير خلاله إلى أثينا، ومن هناك إلى حيث يمكن أن تجد كاسبار. القرار الذي سيغير حياتها والخوف من الإحباط أبقياها صاحية طوال الليل.

فكرت لو أن غرفة كبيرة أضيفت إلى الكوخ لاتسعت لأثاث جدها وكتبه إضافة إلى ممتلكاتها الخاصة.. لكن، كم سيكلف نقل كل هذا إلى باكسوس؟ الكثير على الأرجح.

وتدافعت الأفكار والخطط والأسئلة في رأسها دون هوادة.

لم تشعر بالتعب صباحاً.. لأول مرة منذ أشهر طويلة أحست بالسعادة والحيوية.. مشكلة تقفي أثر كاسبار، لم تزل دون حل، مع كل هذا خرجت إلى العمل بخطوات خفيفة وإحساس بالربيع في الجو مع أن النشرة الجوية تنبأت بالمطر والجليد.

ما إن باشرت عملها حتى جاءت أماندا لرؤيتها.

ـ اتصل كونل بي ليلة أمس باهتياج لا حد له.. إنه يميل إلى لومي للموافقة على أسبوع العطلة الإضافي.. ويجب أن تشعري بالفخر لضجته هذه حولك.. سأشتاق إليك دي.

ـ أنت إذن لا تظنين أنني جننت؟

ـ بل أظن أن من الجنون أكثر أن تتحولي إلى راهبة غير رسمية. ولا أريد أن أعطي رأيي الآن حول سلامة عقلك إلى أن أرى ذلك اليوناني.

ـ أنا آسفة لغضب كونل منك.. هذا غير عادل.. وأنا..

صمتت مع رنين الهاتف الداخلي وجاء صوت كونل يطلب وجودها في مكتبه فوراً..

تنهدت دي، ترفع عينيها إلى السماء:

ـ أوه.. يا للسماء.. ليس محاضرة أخرى!

ـ تحملية، بإمكانه الصخب بقسوة لكنه لا يستطيع منعك عن شيء.

ما إن دخلت دي إلى مشغل كونل، حتى لاحظت أنه لم يعد في مزاج متوتر كما تركته في اليوم السابق..

وابتسم لها:

ـ صباح الخير دي..

التقط رسالة كانت على طاولته، وأكمل:

ـ هذه المهمة وصلت هذا الصباح. هل يعني اسم جارد دانكن لك شيئاً؟

هزت رأسها:

ـ وهل يجب أن يعني شيئاً؟

ـ إنه اسم معروف جداً في عالم المال.. لكنه لا يجذب اهتمام كتّاب الشائعات كثيراً.. إنه ابن غريغوري دانكن الذي أسس ثروته بعد الحرب العالمية الثانية، في الوقت الذي كنت فيه أنطلق بمهنتي.. الأب تزوج من فتاة يونانية أعتقد أنها كانت ابنة أحد أقطاب سفن الشحن، وهذا ما ساعده لكسب أول مليون له.. وابنه الآن يساويه بخمس مرات.

ـ وماذا يريدنا أن نفعل له؟

ـ ظننت أنك تعرفين هذا مسبقاً.

ـ أنا أظن أنني لم أسمع باسم الرجل من قبل.

ـ لكنه سمع بك.. من السيدة برايس هايلنغ، من هيوستن في تكساس.

للحظات لم يعن الاسم لها شيئاً ثم تذكرت السواح الأميركيين

على بخت فيكتور.

- لكنني بالكاد أعرف هايلنغ.. لقد التقيتها مرة واحدة ولوقت قصير جداً.

- لا بد أنك قلت لها إنك تعملين عندي، وتعرف سمعتي كما يعرفها الكثير من النساء الأميركيات الثريات.. وكما يبدو أن زوجها صديق لدانكن.. وأذكر أنه غير متزوج ولا شك أنه في هذا السياق يأخذ آراء زوجات أصدقائه ومعارفه.

أشار إلى الرسالة في يده:

- لقد بنى لنفسه منزلاً للعطلات على أرض ورثها من عائلة أمه.. البناء لن ينتهي قبل نهاية شهر أيار.. لكنه في هذه الأثناء يريد تصميم الديكور الداخلي ورسم طراز للحديقة. ولأنه يعرف أنك إحدى العاملات عندي يريدك في موقع البناء بعد خمسة عشر يوماً من اليوم، لتدبر أمر الإجراءات التمهيدية.. وسيمر في لندن عدة مرات خلال شهر أيار وسأراه يومها بعد أن تكون النماذج والرسومات جاهزة.

قالت دي بفظاظة:

- إنه يأخذ الكثير من الأمور كمسلّم بها.. فقد لا يكون لديك عاملة غير مشغولة بعد خمسة عشر يوماً.

ابتسمت في نفسها لاختياره كلمات مثل «عاملة عندي» وأحست بالفخر لأن زبوناً ما ذكر اسمها كعاملة كفوءة. مع أن كونل يشارك في معظم المشاريع التي يقدمها الموظفين عنده، بإضافة أو تغيير فكرة أو فكرتين إلا أنه ليس ميالاً للمشاركة في نجاحهم..

قال يرد عليها:

- من يملك الملايين من حقه أخذ الأمور كمسلّمات.. ويسرّك أن تسمعي أنه لا يتوقع منا أن نبتدع له شيئاً، لقد ضمن رسالته لائحة بأذواقه، وما يقترح أن يضعه في منزله.. وهو مثلي يهتم كثيراً

بالتفاصيل ويعطي تعليمات لسكرتيرته أن تفعل هذا.. الرسالة تعلمك أية رحلة ستأخذين وكل ما تحتاجين معرفته حول الرحلة. لن أعطيك الأوراق الأصلية، خذي نسخاً مصورة عنها من السكرتيرة عندما تنزلين إلى تحت.

- لكن كونل هذه المهمة ستستغرق أكثر من شهر إذا كنت تتوقع مني التنفيذ، إضافة إلى تحضير الرسومات التمهيدية.

- أجل، دانكن يريد إنهاء المكان مع نهاية آب.

- يبدو أنك نسيت أنني قدمت استقالتي بالأمس.

ابتسم كونل بخبث مريح:

- النسيان ليس من خصائصي.. لكنك نسيت أن تسألي أين يبني جارد دانكن منزله.. إنه في البحر الايوني.. وعلى جزيرة باكسوس على وجه التحديد.. هكذا ستعودين إلى لقاء حبيب قلبك في وقت أسرع مما توقعت.. وأرجو بعد قضاؤك الصيف برفقته، وإلى أن تنتهي هذه المهمة أن تكوني قد فكرت بالعدول عن الزواج.

* * *

٧ ـ حب لا شفاء منه

هتفت دي بقوة:

ـ باكسوس؟ لكنها ليست جزيرة تليق بمليونير.. لماذا يبني منزلاً هناك من بين كل الأماكن؟

ـ لم تكن جزيرة سكوربيوس جزيرة تليق بمليونير إلى أن اشتراها أوناسيس.

ـ لكنني أعلم أن سكوربيوس في البحر الايجي، حيث الطقس الجيد يدوم طوال السنة.

ـ لا.. سكوربيوس قريبة من باسكوس.. ولا أظن أن رجلاً بمستوى دانكن يتورط بنزوة إلا إذا كان فيها استثمار جيد.. اذهبي الآن دي.

كادت أن تنسى أخذ النسخ المصورة للتكليف بسبب تسارع الأحداث لولا أن السكرتيرة شاهدتها ونادتها. وقبل أن تعود إلى مكتبها أطلت على مكتب أماندا.. وقالت لها رداً على خبر العمل للمليونير:

ـ ربما هناك ما يخبئه لك القدر. من الممكن أن تجدي وحبيبك اليوناني مكاناً ملائماً لكما في حاشية جارد دانكن.. فهو دون أي شك سيحتاج إلى مشرفين على العمل، أليس كذلك؟ وقد تجدين نفسك تديرين له منزله، ولا تعيشين في الكوخ إلا لبضعة أسابيع حين يتواجد مع ضيوفه في المسكن.

ـ أظن هذا أمراً مشجعاً، مجرد وجوده هناك سيحسّن كل أسباب الراحة على الجزيرة.

ـ أو سيفسدها.

ـ لست أرى سبباً.. إنه ليس من النوع الذي يسترعي الاهتمام بحركاته.. ويعتقد كونل أنه أعزب.. أتساءل لماذا لم يتزوج بعد؟

ـ ربما يفضل سلسلة من الصديقات.. بالنسبة لخطة زواجك، فهذا الوقت سيعطيكما فرصة لدراسة بعضكما أكثر.

ـ قد لا يكون كاسبار هناك الآن. لقد سمعت أنه كان في كانون الأول يعمل على يخت في جنوبي فرنسا.. وكل صلتي به هو فقط عنوان في أثينا.

ـ إذن أكتبي له إلى ذاك العنوان وأخبريه أنك ستكونين في باكسوس طوال الصيف، ولا أعتقد أنه سيتأخر كثيراً عن الظهور.

في مكتبها قرأت رسالة دانكن إلى كونل ثم درست الملاحظات المرفقة.. وبدا لها زبوناً مثالياً صارماً فيما يحب وما لا يحب، لكن منفتح الفكر فيما عدا ذلك.. لائحة الممتلكات التي يريد أن يضعها في المنزل بدت مثيرة جداً للاهتمام.

كان يملك عدة تماثيل لجواميس الماء من «المنغ» الذي كان أثرياء الصين يقتنونه.. ورأس جواد من «الجاد» صنع سلالة «هان» وجمل من «التانغ».. من الواضح أن كل قطعة من القطع الصينية هي من الحقبة البسيطة التي يفضلها الخبراء في هذا المجال. وبدا أن لمنحوتة غزال برونزي، يونانية، ولوحة «مادونا» إسبانية إمكانيات تزينية كبيرة. كما هي مجموعة الأيقونات والسجاد المصنوع يدوياً في جنوب فارس المليء بالأسود.

ذلك المساء اتصلت بصديقها الرسام رايان الذي أجّرها الشقة في لوغوس، وسألته ما إذا كانت خالية في الوقت الحاضر.. في اليوم

التالي أبلغت كونل رغبتها في السفر قبل أسبوع من الموعد.

ـ بكل تأكيد.. لا مانع عندي.. في الواقع هذه فكرة جيدة.. بإمكانك تفقد المكان قبل وصول المالك.. وبذلك يتأثر بسرعة عملك.. وإذا رضي هذه المرة، فسيطلبنا للعمل معه في المستقبل، وسيجلب لنا زبائناً آخرين. ستكونين بعد الأسبوع القادم هناك وتذكري أن للعمل الأولوية على الحب.

ـ سأتذكر.. لكن لا تتوقع عودتي بعد انتهاء العمل.. لقد عنيت ما قلت وأنا جادة حول اليوناني.. لكنني لن أبيع الشقة في الوقت الحاضر بل سأؤجرها.

ـ ستغيرين رأيك حين ترينه مرة أخرى.. وستتساءلين ما الذي رأيته فيه.. هذا النوع من الحب في العطلات لا يدوم يا فتاتي العزيزة.

تلك الليلة كتبت لكاسبار تذكره ببرايس وڤيڤيان هايلنغ، وتشرح له أنها بسبب نصيحة ڤيڤيان لثري يدعى جارد دانكن، سيرسلها كونل إلى باكسوس وستكون في الجزيرة الجزء الأكبر من الصيف، وأنها ستقيم في فندق «باكسوس بيتش» حتى انتهاء العمل، ثم تنتقل إلى القصر مع فتاة من القرية المجاورة لتشرف عليه. وأنهت رسالتها:

«لقد التقيت بڤيكتور قبل الميلاد.. قال لي إنك تعمل على «قصر عائم» ولذا قد لا تعود إلى موطنك قبل فترة. لكن إذا كنت هناك.. أريد أن أراك.. لك إلى الأبد، دي».

لك إلى الأبد! كلمة تعني الكثير، أو تعني القليل.. في أسفل رسالة عمل لا تعني شيئاً.. أما في أسفل هذه الرسالة فهي تعني الكثير فكل حرف يعبر فيها عن خلجات نفسها.

عندما وصلت أول مرة إلى لوغوس كانت غابريللا في انتظارها على رصيف الميناء.. هذه المرة عند وصولها دون إنذار مسبق كانت مضطرة للذهاب إلى منزل غابريللا، لتحصل على المفتاح.

صاحت غابريللا لرؤيتها:

ـ تيبينس تشايمير.. أوه..

وتدفق سيل من الكلام المذهول باللغة اليونانية.

مع أن الشقة كانت رائحتها منعشة، إلا أن الأرض والطاولات كانت مغبرة مما دعا المرأة اليونانية أن تعتذر..

أحست بالسعادة أن يتذكرها أحد وأن يستقبلها كصديق قديم كما فعل صاحب «التراڤيرنا» وزوجته، حيث تناولت وجبة حقيقية من الحساء، وشربت كوبين من عصير البرتقال.. ثم عادت إلى الشقة وجلست على الشرفة، وهي تشرب القهوة وتفكر.. ليلة الربيع هذه أبرد بكثير من أمسيات أواخر أيلول، يوم افترقت عن كاسبار.. وإلى الأبد كما كانت تعتقد.

في الصباح التالي غطت في النوم، وأيقظتها غابريللا مع سلة من المؤن لفطورها.. قهوة وحليب وعسل وزبدة وخبز طازج.

شمس الساعة التاسعة كانت دافئة بما يكفي لأن تأكل في الخارج.. اتكأت على السياج وفمها مليء بالخبز والعسل، تنظر إلى الميناء اللماع.. على الأرجح ينهمر المطر الآن في لندن.

فيما بعد اتفقت مع التاكسي، من لاكا، أن يأخذها إلى غايوس، وأنزلها السائق قرب النصب التذكاري للحرب في «البلاتيا»..

رأت يختاً مذهلاً يجذب اهتمام المارّة يرسو قرب المكان الذي ترسو فيه العبّارات.. كان اليخت من «بيراكوس» الميناء في أثينا، واسمه مكتوب باليونانية مع التفسير الإنكليزي له: سالينا.

توقفت دي خلف رجل يبدي الإعجاب بالمركب.. بينما هي واقفة نزل فرد من أفراد الطاقم على السلم يرتدي قميصاً أبيض مكتوب عليه بالأزرق اسم المركب، وتبعه رجل يرتدي قميصاً عادياً.

شهقت دي.. إنه كاسبار.. لا شك أن هذا هو «القصر العائم»

الذي ذكره ڤيكتور.. واتجه الرجلان كل في اتجاه مختلف، كاسبار نحو الواجهة البحرية.. بسرعة لحقت دي به قلبها يضرب بسرعة وإثارة.

عند زاوية الباحة، قالت بصوت مرتفع:

ـ كاليميرا كيري برنانوس.

ـ ديانيرا؟

بدا عليه الذهول أكثر منها.. وجمد الزمان وهما يحدقان ببعضهما.. بالكاد تعي سماع صرخة حادة من بعيد.. كل مشاعرها كانت مركزة على كاسبار الذي أصبحت عيناه فجأة تلمعان بنظرة تتذكرها جيداً.. نظرة تخبرها بأنها جميلة وأنه يحبها.

كان هناك طفلة تشد كم قميصه:

ـ خالي كاسبار.. تعال بسرعة! زاك حطم كل أسنانه.

أكد صراخ مرتفع من الجهة البعيدة للبلاتيا أن هناك حادثاً قد وقع.. وقال كاسبار بغضب:

ـ ذلك الولد اللعين..

قفز راكضاً باتجاه الصراخ تاركاً دي مسمرة، ترافقه الفتاة الصغيرة. وقبل أن تجمع شتات نفسها عاد راكضاً إليها، وطفل صغير بين ذراعيه وجهه قناع من دم. وكانت الفتاة تسرع وراءهما تجر دراجة وتقول:

ـ قلت له أن لا يقودها بسرعة لكنه لم يصغ لي خالي كاسبار.

قال لدي:

ـ ابقي هنا، لن أتأخر.

سألها صوت من خلفها بعد أن استدارت لتراقب كاسبار وهو يصعد سلم اليخت الذي نزل منه.

ـ ما الذي حدث للطفل آنسة تشايمير؟

وجدت دي نفسها إلى جانب زوجين التقت بهما في العبّارة، فقالت لهما:

ـ لقد وقع عن الدراجة.

قالت الزوجة بخبرة أم لثلاثة أولاد:

ـ قد لا تكون إصابته شديدة.. فالدم على الأرجح من أنفه.. إنه يصرخ أكثر من أن يكون مصاباً بأذى خطير.

ـ سمعت الفتاة تقول إنه حطم أسنانه، لكنها قد تكون مبالغة.

قال الزوج:

ـ من المؤسف أنني لست طبيباً، كان يمكن أن أعرض المساعدة.. كم أود لو أصعد إلى هذا اليخت، إنه رائع..

هزت دي رأسها موافقة.. فتابع كلامه:

ـ مالكه إنكليزي.. وهذا أمر غريب في هذه الأيام لأن الضرائب المرتفعة على الإنكليز لا تخولهم تحمل مصاريف يخت كهذا.

ـ هل أنت واثق؟ يبدو أن له اسماً يونانياً، ومسجل في اليونان.

تدخلت زوجته:

ـ إنه نصف إنكليزي.. أمه كانت يونانية، وهو يبني منزلاً جميلاً هنا.. قال لنا هذا بعض الأشخاص ممن التقيناهم في المقهى ليلة أمس.

سألت دي:

ـ وهل قالوا لكما عن اسمه؟ أكان دانكن؟

ـ أجل هذا صحيح.. كيف عرفت؟ هل سمعت به من قبل؟

ـ أجل.. سمعت به.

قال الزوج لزوجته:

ـ هيا الآن عزيزتي، من الأفضل أن نضع البطاقات في البريد.. نراك فيما بعد آنسة تشايمير.

اكتشفت دي أن الأرض التي ورثها السيد دانكن عن أمه كانت في نفس الجانب من باكسوس، مثلها مثل كوخ كاسبار، الأمر الذي أذهلها. من الغريب أن لا يذكر كاسبار أبداً أن رجلاً نصفه يوناني ونصفه إنكليزي ومليونير يملك قطعة من ذلك الساحل.

شاهدته ينزل السلم مرة أخرى وقميصه الأبيض ملطخ بالدم.. لو لم تكن تعرف اسمه..

خطرت في رأسها فكرة مجنونة بدت مستحيلة، فانتظرته حتى يصل إليها وأفكارها تتصارع..

سألته آلياً: هل الصبي بخير؟

ـ أجل.. أجل.. إنها غلطته، الشيطان الصغير.. ماذا تفعلين هنا؟

أمسكها بذراعها يقودها بعيداً عن ساحة الميناء باتجاه المؤخرة، قائلاً:

ـ رسالتك قالت الأسبوع القادم، وليس هذا الأسبوع.

ـ هل تلقيت رسالتي فعلاً؟

ـ في اليخت هاتف لاسلكي، اتصلت بأثينا أمس وقيل لي إن هناك رسالة من لندن.. فطلبت من.. خالتي أن تقرأها لي في حال كانت ضرورية.

كل شيء أخذ يتضح.. كل شيء بدا غريباً بينما هو يدعي أنه كاسبار، كل شيء اتضح وقد كشفت هويته الحقيقية.

سألت وهي تقاوم قبضته على ذراعها وتقف:

ـ خالتك.. أم سكرتيرتك الخاصة.. سيد دانكن؟

طغى على تعابيره قناع متجهم: عم تتحدثين؟

ـ أظنك كنت تستغفلني. أنت لست حقاً.. صاحب المهن السبع، المدعو كاسباريوس برنانوس.. أنت في الواقع جارد دانكن، الرجل

الذي كتب لكونل ليرسلني إلى هنا.. لا فائدة من الإنكار..

هبطت يده عن ذراعها، وتجهم وجهه:

ـ اسمي الكامل جارد كاسباريوس برنانوس دانكن. لطالما دعيت بكاسبار هنا.. لماذا جئت قبل أسبوع من موعدك دون أن تتبعي التعليمات؟

ـ أردت قليلاً من الراحة.. قبل البدء بالعمل لزبون كونل المهم جداً.

ـ أمر مؤسف وحظ سيء.. على أي حال، وبما أنك هنا من الأفضل أن تصعدي إلى متن السفينة لتتناول الغداء.. مع شقيقتي وزوجها، وأربعة ضيوف يقيمون معي. سيبقون هنا ليومين بعد.. وحده كاسبار برنانوس أو وجهي الثاني كان سيبقى هنا بينما تبحر «سالينه» إلى أثينا.. وكان سيلتقي بك مع خبر بأن السيد دانكن سيتأخر عن المقابلة المختصرة التي حددت لك.

ـ لكن.. لماذا؟.. لماذا كل هذا الخداع المنظم لإبعادي عن معرفة من أنت حقاً؟

ـ لأن...

قاطعهما صوت متشدق:

ـ عزيزي جارد.. لما القميص المليء دماً؟ ومن هي هذه الشابة الجميلة التي لم ألتق بها بعد؟

ـ ديانيرا.. هذا جيسكار مورندو، الذي رسم لوحة رائعة لأمي فجعلته يشتهر كرسام للنساء الجميلات. لكن مهمته الحالية لن تزيد من شهرته.. الآنسة شايمير هنا لتصميم ديكور منزلي الداخلي جيسكار. وسيكون لك شرف أن تجلس إلى جانبها وقت الغداء، والدم هو دم تيري، وقع عن الدراجة.. إن أخذت ديانيرا إلى اليخت فسأذهب لأغير ملابسي.

كانا لا يزالان يتصافحان عندما ابتعد كاسبار عنهما. وقال الفنان الرسام لها:

ـ كما يمكن أن تفهمي من تعليق جارد، فإنه جليسي للرسم مؤخراً ولو على مضض شديد.. وجهه مثير للاهتمام، ألا تظنين هذا؟ مع أنه لا يراه هكذا.

انتفضت لتتخلص من تحفظها لمواجهتها صدمات الدقائق العشر الأخيرة، وأجابت:

ـ إنه فعلاً وجه رائع.

سألها بارتياب:

ـ وهل عرفته من قبل؟

ـ التقيته هنا في أيلول الماضي.. هل كنت في باكسوس من قبل سيد مورندو؟

ـ جيسكار، أرجوك! لا رسميات على متن «سالينة».. لا أنا لم أزرها قبلاً.. إنها مكان فاتن بالنسبة لما رأيته حتى الآن.

ـ أجل.. هل كان اسم السيدة دانكن سالينة؟

ـ لا.. كان اسمها مادونا.. «سالينه» تعني سيدة القمر.. كانت آلهة القمر الأصلية.

أصبحا الآن عند أقدام السلم الموصل إلى اليخت، فأشار إليها لتتقدمه.

قبل أن تشاهد كاسبار مجدداً، وهي تعرف أنه سيبقى كاسبار دائماً بالنسبة لها، التقت بصهره يانوس، وزوجة جيسكار ماريون، وأركادي وزوجته ميرا كورديز، كلاهما يتكلم الإنكليزية بطلاقة، بينما كانت زوجة يانوس لا تزال تعتني بابنها.

ما هي إلا لحظات حتى عاد كاسبار إلى الظهور، بدا لدي أنه حين أشار إلى شخصيته الثانية، لم يكن مجرد تعبير، بل أنه الحقيقة..

فجأة أصبح رجلاً مختلفاً، مضيفاً مدنياً مرحاً، لكن مع برود في عينيه، ولمعان فولاذ لم تحتوه عينيه قبل الآن.. كان يرتدي بنطلوناً بلون الرمل الشاحب، وكنزة كشمير خفيفة بياقة مفتوحة تحتها قميص.

سبب ارتدائه للكنزة أصبح واضحاً بعد أن انطلق بهم المركب إلى عرض البحر لتناول الغداء هناك، فقد كان النسيم بارداً رغم روعته عندما جلسوا حول الطاولة على سطح المركب، يخدمهم اثنان من السقاة ببذلاتهما الرسمية.

جلست دي بين أركادي وكاسبار، قريبة من مايا شقيقة كاسبار التي تكبره بعدة سنوات.. تناول الأولاد غداءهم في مكان آخر بإشراف الخدم.

قبل انتهاء أول لون من ألوان الطعام كان اليخت قد توقف مجدداً.. وكانت دي تجلس وظهرها إلى الساحل، تجد نفسها مجبرة على الاهتمام بالحديث دون أن تسترق النظر إلى مضيفها. وبقيت هكذا إلى أن قال لها جيسكار:

ـ هاك يا عزيزتي.. هذا ميدان عملك.

استدارت في الاتجاه الذي أشار إليه نحو الامتداد الساحلي الذي لمحته أول مرة من مركبها الذي علقت فيه في العاصفة.. الآن، وفوق ما كان يومها رأس أرضي فارغ، يقف بناء كبير، جدرانه من الحجر المنحوت وسطحه مكسو بقرميد معتّق بحيث لا يبدو جديداً بل وكأنه موجود هناك منذ أجيال طويلة..

همست بإعجاب: إنه جميل..

ثم التفتت بتهور نحو الرجل الذي يملكه:

ـ أوه.. كاسبار.. إنه رائع!

ـ أنا سعيد لإعجابك به.

التفتت إلى جيسكار.

ـ ظننته سيكون حديثاً . . وأجد هذا . . أكثر لطفاً .

قال الرجل المسن :

ـ وأنا كذلك . . إنه عمل جيد . . والفكرة العامة لجارد . . قلت له أنه كان يجب أن يكون مهندساً معمارياً .

قالت شقيقته :

ـ ألاحظ أنك تنادين جارد بكاسبار . . أنت محظوظة . . فوحدها أمي وأقاربها اليونانيين ، كانوا ينادون أخي باسمه اليوناني . . عند ذهابه إلى المدرسة كان على صندوق متاعه الأحرف الأولى من اسمه ج . ك . ب . دانكن ، وحاول الأولاد الآخرون معرفة ما تعنيه «ك» و «ب» وأذكر كم كانت أمي تتكدر عندما ترى زرقة عينه بسبب العراك مع الأولاد حول هذه الأحرف ، خاصة يوم عاد في أول عطلة له .

قال كاسبار :

ـ كنت أعرف أنه عليّ ألا أبوح بها . فظلت مصدر هزء الأولاد عليّ لعشر سنوات . . ليس على الأسماء فقط بل ربما على العادات اليونانية القديمة كذلك .

قالت ماريون :

ـ ظننت أنك كنت أكبر من أن يسخر منك أحد جارد .

ـ ليس في الثامنة ، فأنا لم أكن قد تضخمت يومها .

صاحت ميرا متعجبة :

ـ أرسلت إلى المدرسة في الثامنة؟ أظن أن هذه سن متأخرة لإبعاد الولد عن البيت .

قالت مايا :

ـ أنا أوافقك الرأي . . ولم أكن أريد أن يبتعد تيري عني أبداً . . كان يتعاركان بسببنا وخاصة حول جارد . . أبي كان يريده أن يتربى إنكليزياً أصيلاً . . وهذا هو الهدف من إدخاله إلى المدرسة الداخلية .

أمي كانت تريده أن يكون يونانياً . . لهذا السبب كانت العطلات المتكررة هنا ، والتي لم يستطع أبي منعها لأنه كان قد وعدها أن تأتي كلما شاءت . على أي حال كان مشغولاً جداً بأعماله ولم يكن عنده وقت كبير للحياة العائلية .

سألت ماريون :

ـ وكيف ترى نفسك الآن؟ إنكليزي أم يوناني؟

قالت مايا :

ـ أنا إنكليزية بالكامل . . لقد ورثت هيئة أبي . . الشيء اليوناني الوحيد لدي هو اسمي .

ـ وأنت جارد؟

ـ أعتبر نفسي «هجيناً» . . وبما أنني عالمي سياسياً ، أنا سعيد هكذا .

قاد هذا الرد إلى جدال سياسي دام حتى نهاية الوجبة ، عندها اقترح كاسبار ، بعد القهوة ، أن يلقي الجميع نظرة أقرب على المنزل ، وذلك بعد شرب القهوة .

المرسى الصخري جرى تحسينه وتكبيره ذلك المرسى حيث ساعد كاسبار ديانيرا على الرسو قبل حملها إلى الكوخ . . فقد جهز بدافعة كهربائية ركبت بين الشجيرات الشائكة لتحمل المؤن إلى المنزل وتوصل الضيوف الذين يجدون التسلق صعباً عليهم ، مع أن هذا التسلق أصبح الآن أكثر سهولة ببناء سلم حجري واسع ، مع منبسط مسقوف عند كل منحنى .

قال كاسبار شارحاً عند صعودهم :

ـ مع الوقت ، كل هذه المنبسطات ستصبح مليئة بالعرائش .

سأله يانوس :

ـ ألن يعيقك نقص الماء في الجزيرة من أن يكون لديك حديقة

كبيرة؟ كيف ستروبها؟

ـ ما من مشكلة.. المسألة مسألة بناء مجمعات أمطار مناسبة.. كل الجزر الأيونية فيها نسبة هطول للأمطار أكثر من معظم أراضي اليونان.

رده ذكر دي بتعليق كونل، بأن رجلاً مثل جارد دانكن لن يورط نفسه في نزوة إلا إذا كانت استثماراً جيداً. مع ذلك عند دخولهم إلى المنزل ورؤيتهم للغرف الرائعة، أحست أنها واثقة أن دافعه لبناء هذا المكان هو تحقيق حلم، ولا علاقة له بدوافع الربح. عندما توقفت هي وماريون على الشرفة الموجودة خارج الجناح الرئيسي بعد أن انتقل الآخرون قالت لماريون إنها لم تر منزلاً بهذا الكمال.

وقالت ماريون:

ـ أظن أن جارد يفكر بالزواج.. جيسكار يقول إنني أفكر برومانسية. وسمعة جارد بالتأكيد ليست لصالح الحب والبيت.. لكن حتى عندما يكون الرجل زير نساء متأصل، قد يلتقي بمن تناسبه عاجلاً أم آجلاً.. ولدي إحساس أن هذا المنزل بناه لشخص مميز جداً، وليس كمكان لقضاء العطلات.

لم تستطع دي منع نفسها من السؤال:

ـ وهل كان زير نساء متأصل؟

ـ أوه.. أجل.. لكن ليس بطريقة متوحشة.. أعني أن هناك رجالاً أثرياءً كباراً، لديهم مجموعات من الفتيات، جميلة أجسادهن، فارغة رؤوسهن وهن كرفيقات مؤقتات.. لكن علاقات جارد ليست هكذا. كل النساء اللواتي ارتبط اسمه بهن كن من الذكيات الفاتنات، وعادة نساء لديهن عملهن الخاص.. أذكر مغنية وممثلة وموسيقية التقى بها في منزلنا شغلته لأكثر من ستة أشهر.. لكن لا يجب أن أتحدث عن علاقاته، لقد تأخرنا عن اللحاق بالبقية.

بعد رؤيتهم للمكان كله، عاد بهم المركب إلى غايوس، وانتظرت دي في المركب إلى أن ساعد كاسبار والبحارة الآخرين على النزول من المركب. ثم قال كاسبار لها بخشونة:

ـ سنبقى هنا الليلة، وأنت سيوصلك سبيرو إلى لوغوس، سأكون مشغولاً لبضعة أيام، وأعرف أين أجدك إذا احتجت إليك.. في هذه الأثناء أقترح أن تستفيدي من عطلتك فلن يكون لديك الوقت الكافي للراحة، ما إن تبدئي العمل معي.

نزل من المركب الصغير وأعطى البحار إشارة الانطلاق. نادت أخته وهي تطل عليها عن سطح اليخت:

ـ أوه.. هل أنت ذاهبة؟

هزت دي رأسها إيجاباً ولوحت بيدها، فلوّح لها الآخرون جميعاً عدا كاسبار، وانطلق اللانش يشق الماء ويرسل رذاذاً من الرغوة البيضاء حوله.

خرجت في نزهات طويلة في مناطق ريفية غنية بزهور الربيع لثلاثة أيام وكان من بين المقيمين في لوغوس أشخاص في عطلة لملاحقة الزهور البرية، يقودهم عالم نبات من حدائق «كيو».

تمكنت دي من التعرف على عدد كبير من زهور الجزيرة وهي تسير وحيدة بمساعدة كتيب خاص بالجزيرة. لكنها غالباً ما كانت تسير دون أن تلحظ الجمال حولها وتعابير وجهها كانت تضطرب عندما تتذكر كيف صرفها كاسبار بطريقة غير ودية أبداً، وتخمين ماريون مورندو أن المنزل بني لشخص مميز أيضاً جعلها تفكر كثيراً.

لأنه أرسل في طلبها ولأنها متأكدة من رؤية البريق المشع في عينيه لحظة شاهدها، كان يمكن لها أن تقنع نفسها تقريباً بأنها هي حبه وأن المنزل بني لها لتعيش فيه. لكن لا شيء أبداً يفسر لماذا مع أنه يحبها ويريدها، تركها تمضي أياماً وليال لوحدها في عذاب فكري؟

في الأمسيات وبعد العشاء، كانت تعود إلى الشقة وترسم كل ما تذكره من المنزل، ومعالمه المميزة.. وتقرأ وتعيد قراءة تعليمات كاسبار المختصرة: لا جدران بيضاء ولا حديد مشغول ولا حرير، الصوف فقط والكتان والقطن كقماش للستائر.. أضواء القراءة قرب كل مقعد.. ومكان لثلاثة آلاف كتاب، وخمسمائة شريط مسجل.

في أمسية الليلة الرابعة في لوغوس، عادت إلى الشقة بعد العشاء. كانت مستلقية على الأريكة وكتابها مرفوع على ركبتيها.. لكن تفكيرها كان مشغولاً بالمنزل ومالكه، عندما سمعت طرقاً على بابها.

نادت «مياستيمي» ثم قفزت إلى درج طاولة الزينة، حيث أدوات التجميل وفرشاة الشعر. وضعت بضع لمسات على شعرها وأخرى على وجهها..

كان كاسبار يقف في انتظارها في الخارج.

ـ مساء الخير ديانيرا.

أحنى رأسه ليتجنب صدمه في إطار الباب المنخفض وهي تتراجع إلى الخلف، وتقدم إلى وسط الغرفة وسأل:

ـ كم سيلزمك من الوقت لتوضيب حقائبك؟

ـ أوضب حقائبي؟

هل سيبعدها من هنا؟ وفي مثل هذه الساعة ليلاً؟

ـ لقد ألغيت الحجز الذي قمت به لك في الفندق.. ولن يكون من المناسب لك البقاء هنا، في لوغوس.. يمكننا أن نستقبلك على متن «سالينه».. شقيقتي وعائلتها، والضيوف الآخرين عادوا إلى ديارهم.. وقد وصل مصمم المناظر الأرضية.. وبينما تبدآن عملكما سوية أنا لدي أمور ستشغلني لبضعة أيام.. وسأكون معكما في الأمسيات إذا كان هذا ضرورياً. ألديك اعتراض على السكن في البخت في الوقت الحاضر؟

ـ لا.. لا.. أبداً.

ـ جيد.. سأذهب إذن وأشرح الموقف لخادمتك بينما توضبين أغراضك.. لن يلزمك أكثر من نصف ساعة، صحيح؟

ـ بل أقل. فقط ربع ساعة.

عندما عاد كانت تتأكد من أنها لم تنس شيئاً.. التقط حقائبها، وقال: هل أنت جاهزة؟

ألقت نظرة أخيرة حولها قبل أن تومىء برأسها موافقة. كانت غابريللا تنتظرها مودعة عند أسفل السلم، وتسلم المفتاح. انحنت دي تعانقها، فالمرأة اليونانية أقصر قامة منها وأضخم حجماً، ووضعت لفافة في يد غابريللا، وقالت بيونانية متكسرة:

ـ هذه لك.. من انكلترا.

سألها كاسبار وهما يسيران عبر الرصيف البحري: ماذا أعطيتها؟

ـ بلوزتان صيفيتان، وتنورة قطنية.. أولادها دائماً يخرجون في ثياب مرتبة، لكنني لاحظت أنها ترتدي فستانين فقط طوال الوقت الذي أقمته هنا من قبل.

كان المركب الصغير يرسو في الجهة البعيدة من الرصيف ولم يكن هناك أثر للبحار سبيرو فيه.. بعد أن وضع كاسبار متاعها استدار ليساعدها على الصعود، توقفت وأشارت إلى المبنى الذي تعالج فيه بقايا الزيتون.

ـ هناك رأس من الفخار على قمة المبنى، أنا واثقة أن مصمم المناظر في الحديقة، يجب أن يضع يده عليه كمنظر مميز لحديقتك.

ساعدها على الصعود:

ـ حقاً؟ أستطيع القول إن لديه مجموعة جيدة ليختار منها. وهذا الرأس يعطي الكثير من السعادة للمحليين ولبعض الزوار. كنت ألتقط قطعاً فنية غريبة لحديقتي منذ خمس سنوات، وهي مخزونة الآن في

الڤيلا التي أستأجرها منذ عدة سنوات في «توسكانيا».. في وقت ما كنت أنوي جعلها مكان إقامتي الدائم. لكن إيطاليا أصبح القانون فيها ضعيفاً.. أولاد الأثرياء دائماً في خطر لسوء الحظ.

أدار المحرك، ولم يتحدثا حتى اقتربا من اليخت الرائع المنظر بجسمه الأبيض الذي يعكس نور القمر، معظم نوافذه مضاءة. نزل السلم خادم وبحار، أحدهما تولى الحقائب والآخر استلم اللانش.

سألته وهما يصعدان:

ـ هل مصمم المناظر الأرضية هو ريتشارد كويلت؟

ـ أجل.. أتعرفينه؟

ـ أسمع عنه. كويلت هو من بين المصممين الملهمين للحدائق، لكل من له اهتمام بالحدائق الكبيرة الحجم.

ـ تعالي والتقي به. لقد تركته في الصالون.

ـ هناك شيء واحد..

ـ نعم؟

نظرت حولها، فلم تجد أحداً:

ـ أنا.. لست واثقة مما سأناديك به من الآن وصاعداً.. سيد دانكن.. أم جارد.. أم..

ـ نادني كاسبار كما ناديتني دائماً.

في الصالون المريح، كان هناك رجل قصير وبدين له رأس كبير ويضع نظارة إطارها أسود، منغمس في كتاب كبير الحجم للوحات ملونة.. رفع رأسه عند دخولهما ووقف لرؤية دي، قدمه كاسبار.. فسألها ريتشارد كويلت وهو يصافحها:

ـ هل أنت أميركية آنسة تشايمير؟

عرفت أنه يسأل لأن في أميركا مصممات ديكور محترفات أكثر مما في أوروبا، ويعرف أن كاسبار لن يستخدم مصممة غير معروفة.

ـ أنا إنكليزية.. سبب عدم سماعك باسمي هو لأنني هنا لأقوم بالعمل لكونل يلدرز.

ـ أوه.. حقاً؟ لقد عملنا معاً في التصميم في عدد من المناسبات.

سألها كاسبار:

ـ ماذا تشربين دي؟

ـ عصير ليمون مع مياه غازية لو سمحت..

لم يطلب حضور أحد السقاة، بل حضر الشراب بنفسه ثم طلب منهما أن يعذراه لعشر دقائق.

وعندما رجع كانا قد قيما بعضهما. وقررت دي أن مصمم المناظر قد أعجبها.. قال كويلت إنه انطلق من دياره باكراً، وإنه يرغب في الذهاب إلى النوم.. عندما حاولت دي أن تحذو حذوه، قال لها كاسبار:

ـ لدي بعض الأشياء أريد أن أعطيك إياها ديانيرا.

بعد أن تركهما الرجل وحدهما، أعطاها كاسبار مجموعة كاملة من الخرائط الهندسية للمنزل، ولائحة بكل اللوحات وأحجامها ووصف لما تحتويه ونوع إطاراتها، والمكان الذي يرغب في أن تعلق فيه.. وأضاف:

ـ إما توضع كمجموعة وإما تعلق منفردة، فهذا يعود لك!

ـ هذه ثقة ثمينة.. شكراً لك.

ـ مع أن كل طاقم اليخت من اليونانيين، إلا أن خادمتك إنكليزية، السيدة بارسلي.. لا شك أنها أفرغت لك حقائبك الآن، لكنني قلت لها إنك لن تحتاجي إلى عناية الليلة.. سأوصلك إلى مقصورتك بنفسي.. أتسمحين؟

ـ شكراً لك، لكن.. إن كنت غير مستعجل للذهاب إلى النوم يمكننا أن نتحدث بضع دقائق؟

ـ هناك مناسبات أحب فيها أن أذهب إلى النوم باكراً لكن لسوء الحظ لا أظن أن هذه إحدى المناسبات.

لم تكن المرة الأولى التي ينظر إلى جسدها بتقييم. أحست باحمرار خديها، لكن بطريقة ما كانت نظرته من قبل مختلفة. وأكمل يسأل:

ـ عم تريدين التحدث؟

ـ عن ذلك اليوم.. يوم آذى ابن أختك نفسه.. سألتك لماذا ادعيت أنك شخص مختلف عن جارد دانكن، ولماذا كنت تنوي الاستمرار في الخداع.. كنت ستشرح لي، لكن جيسكار قاطع كلامنا.

ـ سأقول لك، لكنني أولاً أود أن أسمع منك رداً صادقاً على سؤال واحد. فكري به قبل أن تردي.. لو أنك ساعة طلبتك للزواج، كنت تعرفين أنني جارد دانكن هل كنت ستفسخين خطوبتنا القصيرة؟

لم تكن بحاجة للتفكير:

ـ لا.. فسيكون الموقف مختلفاً ساعتها.

رد ساخراً:

ـ بالضبط.. لكنني الرجل ذاته.. ومع أنك ستجدين هذا غريباً إلا أنني أفضل زوجة تهتم بي بغض النظر عن ممتلكاتي المالية.

ردت بحدة:

ـ أنا لا أهتم البتة بما تملك.. على الأقل ليس على هذا المستوى.. لكن لو كنت أعرف أن لديك على الأقل بعض ما يدعمك، فبالطبع كان سيختلف الأمر.. أنا.. أحببتك كثيراً، كاسبار، لقد كنت تعيسة جداً لفسخ خطوبتنا.

ـ تستخدمين صيغة الماضي في كلامك.. يبدو أنك استعدت عافيتك.

نظرت إلى اللائحة في يدها هرباً من نظراته القاسية وهي تقول له:

ـ الناس لا يستعيدون عافيتهم من الحب.. إذا كان حباً حقيقياً لا مجال للشفاء منه.

قال بخشونة:

ـ كلام مؤثر جداً ديانيرا.. لكنه ليس مقنعاً بما يكفي.. أتساءل لماذا لم تذكري إخلاصك الذي لا يموت في الرسالة التي كتبتها لي مؤخراً؟ لا شك أن السبب هو أنه بدا لك أن جارد دانكن سيكون لديه أكثر بكثير مما يقدمه لك كاسبار برنانوس.

ـ كيف تجرؤ على هذا القول؟ مثل هذا لم يخطر أبداً ببالي ولا حق لك أن تشير إليه.

ضحك بخشونة:

ـ إذن سأقترح شيئاً مختلفاً.. قولي لي إنك لا زلت تحبينني، ولسوف أجدك مرغوبة جداً، مع أنه لم يعد الزواج في مزاجي. بما أننا نعيش في زمن العديد من الناس يعيشون معاً دون رابط رسمي.. فلماذا لا نفعل هذا؟ كصديقة مقربة لي، سيكون لك كل شيء وكأنك زوجتي.. عدا العقد القانوني.. هل هذا مهم حقاً؟

شيء ما ارتجف في داخلها.. هذا ليس الرجل عينه، الذي قال لها ذلك اليوم الرائع في باكسوس: أحبك.. ليس لبضع ليالي بل لما تبقى من عمري، ولتكوني أماً لأولادي.

قالت بحزن:

ـ العقد ليس هو المهم.. بل الالتزام.. الإيمان بأن الحب يمكن أن يدوم العمر كله.. أخشى أن لا أكون راغبة في أن أكون عشيقة لك.. فهو دور لا يروق لي.. هل لي أن أذهب إلى مقصورتي الآن أرجوك؟

ـ إذا كنت مصرة..

قرع الباب ودخل الخادم بعد لحظة مع ورقة مطوية على صينية

www.elromancia.com

فضية، وكلم رب عمله باليونانية.

رد كاسبار بنفس اللغة، ثم قال بالإنكليزية:

ـ سيرافقك باولوس إلى مقصورتك.. عمت مساء ديانيرا.

كانت مستيقظة عندما أحضرت لها خادمتها إبريقاً من عصير البرتقال الطازج في الصباح.

ـ صباح الخير سيدتي.. يعتقد السيد دانكن أنك تفضلين عصير الفاكهة على شاي الصباح الباكر.. ولست أدري ما إذا كان هذا الوقت المناسب لإيقاظك.. أتفضلين وقتاً أبكر بقليل؟

ـ لا بأس بهذا الوقت سيدة بارسلي.. شكراً لك.. وشكراً لك لأنك أفرغت حقائبي بالأمس أعرف أن حقيبتي كانت غير مرتبة لأنني لم أكن أتوقع أن أترك شقتي في لوغوس، لذا رميت ملابسي كيفما كان كي لا أؤخر السيد دانكن.

ـ خمنت أنك جئت على عجل.. هل أحضر لك الحمام، أم تفضلين الاستحمام السريع صباحاً؟

ـ سيكون الحمام رائعاً، ثم إذا امتلكت الشجاعة للسباحة وسط النهار، سآخذ دوشاً وأغسل شعري قبل العشاء.

ـ مياه البحر ليست دافئة في نيسان مع أن سيدي جارد يسبح طوال السنة.. أوه، سيدي جارد، حقاً! عمتي كانت مدبرة منزل لأمه، لذا ومنذ كنت فتاة في مراهقتي كنت أسمع من يناديه بسيدي.. هل أراك لوحة أمه المعلقة في مكتبته مدام؟

هزت دي رأسها نفياً.

ـ كانت جميلة.. أجمل امرأة على الإطلاق، كما تقول عمتي. كانت نجمة سينمائية قبل أن يتزوجها والد السيد دانكن. وتخلت عن كل شيء في سبيل حبه.. كان موتها فاجعة في مثل ذلك السن المبكر.. يا إلهي.. لا يجب أن أقف وأتكلم، سأذهب لأحضر

الحمام.

تناولت ديانيرا الفطور مع ريتشارد كوبلت، بعد ذلك نزلا معاً إلى الشاطىء.

قامت بجولة ثانية في المنزل وأخذت تجول في الغرف التي لا يعمل فيها العمال. وافقت دي اعتراض كاسبار على اللون الأبيض للجدران.. قد يكون اللون الأبيض مناسباً لمنزل صغير بسيط لا أثاث كبير فيه.. لكن هذا المنزل يتطلب اللون.. كل الألوان التي تفضلها.. الأخضر المائل إلى الأصفر.. واللون الطيني والفخاري.. والليموني.. والأخضر الزيتوني الجاف، والأزرق الشاحب، والزهري الناعم مع المشمشي الدافىء المتوهج.

عند الظهر، وبعد ثلاث ساعات من العمل نزلت إلى الخليج لتعرف بنفسها ما إذا كان البحر بارداً وغير محتمل.. وبدا لها صافياً ومغرياً كما كان في أيلول.

في البداية أحست ببرودته المثلجة لكن بعد عشرين ضربة سباحة، وجدته أقل برودة.. وكانت على بعد مئة يارد من الشاطىء تستريح من السباحة السريعة عندما شاهدت اللانش يتقدم نحوها.

ناداها كاسبار: لا شك أنك أقوى مما تبدين.

كان سبيرو يقود اللانش ومعه خادم. ونسيت دي للحظة كيف هي الأمور بينهما الآن، وردت عليه:

ـ الدخول إلى الماء هو المؤلم فقط.. بعد ذلك يصبح منعشاً.

ـ أعرف.. سأنضم إليك.

خلع قميصه وبنطلونه.. وقفز عن اللانش واختفى تحت الماء.. ثم قال بعد أن ظهر أمامها:

ـ جئنا لكم بطعام للنزهة.. ولم أتوقع رؤيتك تسبحين.. كيف نمت؟

ـ بشكل ممتاز.. شكراً لك.

وأخذت تسبح نحو الشاطىء..

لم يكن لها أمل أن تسبقه، وتعرف هذا قبل أن تبدأ.. لكن عندما وقفت في الماء الضحل قربه، لم تكن مستعدة لتحركه السريع نحوها ولضمها بين ذراعيه.

الرجلان الآخران كانا في طريقهما صعوداً إلى المنزل، سبيرو يحمل سلة متوازنة على رأسه، والخادم يحمل صندوق تبريد.. لكن لو توقفا ونظرا إلى الأسفل، لشاهداها ورب عملهما، ولم تتوقع أن يعانقها كاسبار علناً.. لكنه لم يكن عناقاً للهو، بل كان يضمها إليه بشوق كبير.

كانت ترتجف عندما أبعدها عنه أخيراً، وبقي ممسكاً بها وهو يقول:

ـ من الأفضل لك أن تستسلمي بلباقة.. وستفعلين.. الأمر حتمي.

راقبته وهو يلتقط روباً تركه الخادم له قرب منشفتها، وبدلاً من أن يرتديه لفه حولها، ووضع منشفتها حول عنقه وحملها.. فقالت محتجة:

ـ كاسبار.. أنزلني.. أرجوك.

ـ لماذا الاعتراض؟

في أعلى السلم، كان ريتشارد في انتظارهما:

ـ يا للسماء، لكما جرأة أكثر مما لدي، البحر في هذه الأيام لا يليق سوى بالأسماك، لقد تحسسته وأنا في طريقي إلى هنا.

مع أنها كانت ملتفة بالروب حولها لكن نظرة من ريتشارد جعلتها تشعر بالخجل، قال كاسبار:

ـ حتى أن ديانيرا لم تضع مرهماً واقياً.

قال ريتشارد:

ـ ولا أنت وضعت.. ولا شك أنك في حالة حمية ممتازة.. فحتى لو كنت أصغر بعشر سنوات، لن أتمكن من صعود هذا السلم وفتاة طويلة حتى ولو كانت نحيلة بين ذراعي.

ـ لقد بقيت في الماء كثيراً وكانت ترتجف.

شد طرف الروب حتى غطى شعرها المبلل، وقال:

ـ اجلسي لأجفف لك قدميك.

أحضر الساقي ثلاثة مقاعد خشبية قابلة للطوي، وإلى جانبها مائدة الغداء. واعترضت دي:

ـ وماذا عنك؟

ـ لم أبق في الماء بقدرك.. على أي حال أنا معتاد على هذا.

راقبته يجفف قدميها، ظهره العريض وكتفيه لا زالت مليئة بقطرات الماء.. ولم يكن قد فقد لونه الأسمر كما حصل لها، فلربما لم يبتعد عن الشمس أكثر من أسبوع في وقت واحد.

* * *

٨ ـ أرجوك أن تحبني!

ارتدت ديانيرا للعشاء ذلك اليوم ثوباً اشترته في آخر يوم لها في لندن لإبهاج كاسبار برنانوس.

صحيح أن موضته تلبس دائماً دون زمن محدد، وهو ليس غالي الثمن ولا يقارن مع الثياب التي ترتديها النساء حول جارد دانكن، إلا أنه أضفى عليها سحراً مميزاً. كان بنياً محمراً من الحرير بلون قريب من شعرها، حيث أبرز لون عينيها الزرقاوين. ياقته مثلثة وملتصقة بالجسم، بينما التنورة مستقيمة مضمومة قليلاً عند الجانبين. كان فستاناً كلاسيكياً.

عندما دخلت إلى صالون اليخت كان كاسبار وريتشارد يتبادلان أطراف الحديث، ووقف كلاهما وألقيا عليها تحية المساء. تقدم كاسبار نحوها بينما تحرك ريتشارد ليعيد كتاباً كان قد أخذه من على الرفوف ووقف هناك يتفحص عناوين الكتب الأخرى.

كان الصالون كبيراً تبلغ مساحته حوالي التسعة أمتار. وهذا يعني أن من يتكلم في طرفه لا يسمعه من هو في طرفه الآخر، خاصة إذا كان هناك موسيقى تصدح.

قال كاسبار:

ـ أرى أننا متفقان على موضوع الحتمية. وإلا لما ارتديت هذا الفستان.

ردت بصوت منخفض:

ـ أنا في موقف صعب. أنا هنا لأعمل، ولن يسرّ كونل إن ذهبت قبل إنهاء عملي. وأنا لا أريد أن أتعرض للأخطاء.

ـ إذا كنتِ تقصدين من هذا إشعاري بأنني قذر فأنت لم تنجحي.

وضع الثلج في كوب زجاجي طويل. وهو يكمل:

ـ لا أظن أن كونل سيطردك إن عدت إلى لندن وقلت له إن دانكن عابث لا مبادىء له. لكن إذا كان هذا يسهل الأمر عليك، بأن تشعري أنني أضغط عليك فلا مانع لدي.

ـ ألست تضغط عليّ؟ أنت تعرف أن العلاقات الغرامية العابرة ليست من طبعي.

ـ عزيزتي ديانيرا. لا تقولي أبداً إنني لم أقم بجهدي لجعلك امرأة شريفة! لكنك لم تقبلي.

وتحول عنها إلى الرجل الآخر.

ـ أترغب في شراب آخر ريتشارد؟

ـ لا شكراً. فقد قرب وقت العشاء.

تناولوا وجبة لذيذة، تشمل قوائم الغنم. لكن دي لم تكن قد تناولت مثل هذا الطبق من قبل، واهتمت بمراقبة طريقة تقديمه الفاخرة.

بعد العشاء عادوا إلى الصالون، حيث اقترح كاسبار أن ينهوا أمسيتهم ببعض الموسيقى. وسألها:

ـ ماذا تفضلين من الموسيقى ديانيرا؟

ـ أحب كونسرتو البيانو لرخمانوف.

أصغوا إلى اثنتين من المقطوعات الأربعة، ثم بعد انتهاء الثالثة والمفضلة لدى دي وقف ريتشارد وتمنى لهما ليلة سعيدة.

قال كاسبار:

ـ هل تسمعين المزيد من الموسيقى أم ترغبين في النوم؟

طوال الوقت بينما كانت الموسيقى تصدح كانت تشعر بنظراته المتفرسة، خاصة وأنه اختار مكاناً للجلوس يستطيع منه تركيز عينيه عليها.. وقبل أن تستطيع الرد عليه رن جرس الهاتف.

خرج من كرسيه ليرد على مخابرة هاتفية.

بعد لحظات من الصمت قال:

ـ سأتلقاها في مكتبي.. إنه اتصال من مكتبي في نيويورك.

وقفت: إذن سأقول لك ليلة سعيدة.

سارا معاً إلى الباب، تحرك كاسبار أمامها كأنه سيفتحه لها.. لكنه أبقاه مقفلاً.. مد ذراعه وجرها إليه.. لكن العناق الذي توقعته لم يحدث.. فقد أمسك بها للحظات وذراعه خلفها، وهو ينظر إلى بشرتها الناعمة.

ـ أرجو أن لا تستغرق المكالمة طويلاً.. لسوء الحظ الناس لا زالوا يعملون في الجهة الأخرى من العالم.. والعمل يجب أن يأتي قبل المرح.

ثم فتح الباب، وتنحى جانباً لتمر.

في مقصورتها الزرقاء والبيضاء، أضاءت دي النور وتقدمت نحو طاولة الزينة.. جلست على الكرسي الخشبي تنظر إلى صورتها.. أنفاسها سريعة وغير مستقرة. مضت عدة لحظات قبل أن تستجمع شتات نفسها، وتستعيد سيطرتها على نفسها.. لكن كيف يمكنها أن تتوقف عن الاضطراب وهي تتوقع أن يأتي إليها دون أن تعرف متى؟

غيرت ثيابها وانتزعت الماكياج عن وجهها ونظفت أسنانها، كان قد مر ربع ساعة منذ افتراقها عن كاسبار خارج الصالون. وهي تتساءل كيف تتصرف الفتيات عادة في مثل هذه الظروف، تسلقت السرير..

استيقظت دي لدخول السيدة بارسلي:

ـ رسالة من السيد دانكن، مدام.

ـ شكراً لك.

وفتحت المغلف المختوم: «أنا آسف لليلة أمس.. لقد حدث ما أبقاني مشغولاً لأكثر من ساعة.. وعندما انتهيت كنت أنت في نوم عميق.. يجب أن نتمنى حظاً أفضل الليلة».

جاء اللانش لإعادتها وريتشارد عند الساعة الثالثة من بعد ظهر اليوم التالي ولم يكن كاسبار على متنه، وهو وقت مبكر بالنسبة لليوم السابق.. لكنهما افترضا أن هناك سبب ما لاختصار وقت بقائهما هناك.

قالت دي:

ـ على أي حال يجب أن أرسل تقريراً إلى كونل.. يتوقع مني إعلامه بكل شيء.

قبل جلوسها لطبع رسالة إلى كونل على آلتها الطابعة المحمولة. فكرت أن تأخذ دوشاً.. كان في الحمام خزانة فيها كل ما يحتاجه الرجل أو المرأة، وواحدة أخرى في غرفة النوم.. بعد أن انتهت، غدت بشرتها ناعمة بالبودرة، فتحت باب الحمام وعادت إلى غرفة نومها.. لكنها ذهلت لأنها وجدتها معتمة.. الستائر مغلقة، ومجرد شعاع رفيع من الشمس في الخارج، تمكن من اختراق الغرفة.

لشدة ذهولها صرخت مجفلة عندما أُمسِكَت من الخلف، وأديرت إلى عناق محطم. ولم يكن لديها أنفاس سوى لتهمس باسمه قبل أن يطبق ذراعيه حولها.

بعد عناق طويل، لم تكن تعرف مقداره، وقد فقدت كل إحساس بالوقت والمكان حرك رأسه ليتكلم قرب أذنها:

ـ لقد حان الوقت لأتزوج وأنجب الأطفال، وأريدك أنت أماً لأولادي.

ـ هذا طلب زواج، ولكن ربما لا أريد الزواج منك.

ـ أنا أعلم بمشاعرك نحوي.

ـ ولكنني أريد أن أفكر بعرضك هذا، فربما لا يروقني الزواج بالطريقة التي تعرضها عليّ وأريد الوقت للتفكير.

ـ سنتزوج في أسرع وقت ممكن فالعمر يمر بسرعة، ربما في الأسبوع القادم.

ـ لكنك قلت في الليلة التي سبقت ليلة أمس، إنك لم تعد في مزاج زواج!

ـ غيرت رأيي.

ـ هذا سخيف كاسبار..

ـ تخطئين لو تصورت أنني قد أسمح لك بالابتعاد عني.. ابتعادنا مجدداً قد يترك فينا جرحاً نفسياً، ليس بالضرورة أن يكون.

ـ أليس من الأفضل أن نتريث قليلاً، قبل أن نتهور في زواج أنت لا تريده حقاً؟

طوى ذراعيه حول صدره، وقال ساخراً:

ـ لقد حان وقت أن أتزوج وأنجب أولاداً.. وأستطيع القول إننا سنتفق كما معظم الأزواج.. وإذا كان لعلاقتنا أن تكون دائمة أفضل أن لا ينظر إليك الموظفين عندي بنظرة مرتابة.. لذلك لن أحاول مجدداً التقرب إليك، أو دخول مقصورتك.

قالت: وماذا لو رفضت الزواج منك؟

ـ لن تفعلي.. فالليلة التي سبقت الأمس، ادعيت أنك تحبينني بشكل لا شفاء منه.. ومن الغباء أن ترفضي كل ما أستطيع أن أقدمه لك.. ألا تظنين هذا؟

تقدم نحوها ثم جذبها لتقف، ورفع رأسها ولثم جبينها.. فهمست:

ـ أرجوك كاسبار.. قل إنك تحبني.

ـ لا تتوقعي من الحياة أن تعطيك كل شيء، فهي لا تفعل هذا أبداً.. وتذكري هذا.. يجب أن أذهب الآن.. وسأراك وقت العشاء.

عندما دخلت الصالون فيما بعد، وهي لا تزال متوترة وقلقة ـ لكن لأسباب مختلفة الآن ـ فاجأها كاسبار بقوله أمامها وأمام ريتشارد.

ـ سنشرب الليلة الأنخاب.. أنا وديانيرا سنتزوج.. وإلى أن تكون لدينا فرصة انتقاء خاتم الخطوبة.. أريدك أن تضعي خاتماً موجوداً معي على المركب.

لم يكن خاتم رأس الكبش الذهبي ما أخرجه من العلبة، بل كان خاتماً أغلى ثمناً من البلاتين المزين بالألماس والزفير.. وقال شارحاً:

ـ كان هذا أحد خواتم أمي.

أمسك بيدها ودسّ الخاتم في اصبعها.

هكذا وضعها تحت أمر واقع دون انتظار قرارها.. لم يكن أمامها إلا أن تتقبل تهنئة ريتشارد وتمنياته الطيبة.

قال له كاسبار:

ـ شكراً لك، سأكون ممتناً لك إن أبقيت الخبر لنفسك لبعض الوقت.. فأنا أكره الدعاية الشخصية، ولن أعلن خبر زواجنا إلا بعد أن نعود من شهر العسل.

تزوجا في واحدة من أصغر الكنائس الثلاثة والثمانين الموجودة على الجزيرة.. وكانت هذه أبسط طريقة لتجنب جذب اهتمام الصحافة والتلفزيون.

ارتدت دي فستاناً بسيطاً من الشوفين العاجي اللون، اختارته من بين عدة فساتين أحضرتها من أثينا. صغرى خالات كاسبار، المتزوجة ولديها ولدان وقفا إلى جانبي العروسين، يمسكان شمعتين طويلتين مصنوعتين من شمع العسل.. أمامهما، كان هناك طاولة مكسوة

بالأبيض وعليها كوب واسع من الزجاج فيه خاتمي الزواج.

مع أن الكنيسة كانت بسيطة، إلا أن الأرشمندريت الذي قام بالمراسم، كان يرتدي قفطاناً أبيضاً مطرزاً بالذهب والأحمر والأخضر. وقد ترجم أجزاء من المراسم إلى الإنكليزية كي تفهمها العروس والإنكليز الموجودين مثل ريتشارد وقبطان سالينة، والسيدة بارسلي. كان الخاتم الأصغر بين الخاتمين قد حفر عليه اسم كاسباريوس، والأكبر محفور عليه اسم ديانيرا، وباركهما الارشمندريت، وطلب منهما أن يتبادلاهما..

سرعان ما انتهت المراسم، وأصبحا زوجاً وزوجة: «ما جمعه الله، ما من إنسان يفرقه».

لم تعترض دي على اقتراح كاسبار بتأخير رحلة شهر عسلهما إلى أن يصبح السكن في المنزل ممكناً، على أي حال فخامة الحياة على اليخت تفوق بكثير شهل عسل معظم الناس.

هكذا أمضيا ليلة زفافهما على اليخت المتوقف خارج «غايوس» كي تكون خالته وزوجها المضيفان في حفلة على الشاطىء على شرف ريتشارد وبحارة «سالينه».

سألته خلال العشاء: أنت لا تضع خاتمك؟

ـ لا.. لقد خلعته.. تبادل الخواتم جزء رئيسي من المراسم. ومعظم الرجال في أوروبا يرتدون خاتم الزواج.. لكن هذا ضد مبادئي الإنكليزية. هل تتطيرين من هذا؟ أعرف نساء يعتقدن أن من سوء الطالع خلع خاتم الزواج.

ـ لا.. أنا لا أؤمن بهذه الخرافات.

لكنها لم تستطع منع نفسها من الإحساس بجرح لأنه خلعه بسرعة، خاتمه كان من الذهب بينما خاتمها من البلاتين ليتناسب مع خاتم أمه، الذي اختارت أن تحتفظ به بدل اختيار خاتم جديد.

سراً، كانت مصممة أن لا تطالبه بأي شيء أو تعبر له عن اهتمامها بالحلي والفرو أو أي شيء مكلف، إلا إذا دعت الحاجة.. ربما بالتدريج سيقتنع أن ثراءه ليس مهماً لها، وأنها عادت إلى باكسوس على أمل أن تتزوج كاسبار برنانوس.

بعد العشاء انسحب الساقي إلى الشاطىء كي لا يزعج العروسين أحد حتى الصباح.. قال كاسبار:

ـ أنا لم أريك بعد هدية زفافك.

أزاح مرآة عن الحائط، إطارها يخفي خزنة خلفه. وأكمل:

ـ على فكرة، هذه الخزنة تعمل على أرقام سرية لا يعرفها سواي والقبطان، وفي المستقبل ستعرفينها أنت.

وأخبرها التركيبة.

أخرج من الخزنة علبة جلدية مسطحة وضعها على الطاولة. ثم أعاد المرآة إلى مكانها.. وأشار إلى دي:

ـ أديري ظهرك إلى المرآة لألبسك إياه.

أحست ببرودة المعدن على بشرتها، ودون أن تنظر أدركت أنه شيء لماع مشرق.

ـ الآن يمكنك أن تنظري.

أمسك كتفيها وأدارها إلى المرآة.

الطوق الألماسي جعلها تحبس أنفاسها، ضمن قلادة صافية كالثلج.. تلمع وتعكس أنوارها أمام الضوء على الجدار.

سألها:

ـ هل أعجبك؟

ـ أجل.. أوه.. أجل! أرجوك، اخلع عني العقد.. فقد يصاب بضرر.

ـ لن يصيبه شيء.. أحبه عليك.. يجب أن ترتدي الألماس

دائماً.. ولا شيء غيره..

وأخذت أصابعها تفتش عن قفل العقد، ثم أعادت الألماس إلى مكانه فوق المخمل الأسود.

أدارها كاسبار لتواجهه ويداه على كتفيها.. فجأة أحست أنه رفعها إلى كتفه، وسار بها إلى غرفة نومه، حيث الفراش الواسع، مرفوع الغطاء من الجانبين، وغلالة نومها الشوفين البيضاء، والدانتيل المطرز بشرائط الساتان الزهري، كانت على حافة السرير بانتظارها.

بلطف ألقاها وسط السرير.. كان هناك مصباح واحد مضيء. نوره الخافت، يجعل الغرفة الرجالية الصارمة، تبدو أكثر دفئاً مما كانت بعد دخولها إليها.

فجأة، بدا شرساً ونافد الصبر.. ليس اليوناني الضاحك العينين الذي أحبته نهاية الصيف الماضي.. بل كان قاسياً، لا رحمة تبدو عليه، رجل مرت به الكثير من النساء قبلها.. وربما سيمر به المزيد، ما إن يفقد جسدها فتنته الجديدة عليه.

في الليل، استيقظت عطشى.. ورأت كاسبار وهو يغط في نوم عميق.. تسللت من السرير بحذر لئلا توقظه وسارت بصمت إلى الحمام، دون إضاءة أي نور إلى أن أقفلت الباب من الداخل.

شربت بعض الماء، ونظرت إلى نفسها في المرآة.. الآن، وأخيراً، أصبحت امرأة.. امتلأت عيناها دموعاً فأخذت منشفة تجففها.

من يمكن أن يظن، أن عروس المليونير السيدة جارد دانكن الجديدة، تحبس نفسها في الحمام لتبكي في الساعة الخامسة صباحاً؟

لم يكن السبب أنه كان كريهاً وغير مرضٍ، بل لأنه لم يرد مرة على كلمات حبها الهامسة ولو باستجابة بسيطة تشوقت إليها.

غسلت وجهها، وعادت إلى السرير.. لقد قال لها بنفسه «لا

تتوقعي أن تعطيك الحياة كل شيء.. إنها لا تفعل هذا».

أحست بحركة خلفها، وبيد ثابتة ووائقة تديرها على ظهرها.. قبل طلوع الفجر رأته يرفع نفسه على مرفقه.

بما أنها فقدت حبه، ربما تستطيع على الأقل أن تحافظ على اشتياقه لها كزوجة لأطول وقت ممكن.. ومدت يدها وطوقت عنقه وهي تشده إليها.

خلال بضعة أيام بعد الزفاف، أكمل إنجاز مهبط الهليكوبتر، وأول من أقلعت به الطائرة منه كان ريتشارد كويلت، لتوصله إلى كورفو ومن ثم إلى فلورنسا ليشرف على نقل الحديقة المختارة من قيلا توسكان إلى باكسوس.

بعد بضعة أيام جاءت الهليكوبتر بقادم جديد إلى الجزيرة.. لكن بما أنه استدعي دون تأخير إلى اليخت، فلم تره دي حتى وقت متأخر.

اكتشفت أن موسم اليراعة المضيئة قد ابتدأ.. مع اختفاء النور، كانت تدور في الظلام وكأنها شرارات مضيئة تتصاعد من موقد فحم في العراء عدا أن نورها أخضر، بدلاً من الأحمر.

لهذا السبب، ولأن كاسبار كان يقترح قيلولة بعد الغداء، ولو بغير قصد النوم، تعمدت أن تتأخر في المنزل قدر استطاعتها مستخدمة مركباً صغيراً في تنقلاتها، بدل الاعتماد على اليخت.

قالت السيدة بارسلي، عندما عادت دي إلى اليخت ذلك المساء:

ـ هناك ضيف على العشاء مدام.. لقد غيّر السيد دانكن ملابسه، لكنه قال أن لا داعي لأن تستعجلي.

سألت: من هو؟

ـ شخص من انكلترا.. لكنني أعتقد أن السيد دانكن يريد مفاجأتك مدام.

أيمكن أن يكون ڤيكتور؟

لكنه لم يكن صديق دراسة كاسبار.. بل كان كونل بلدرز الذي وقف عن الصوفا في الصالون ما إن دخلت.

- كونل..! ماذا تفعل هنا؟

- مساء الخير دي.. لقد دعاني السيد دانكن إلى هنا لأمر طارىء.. ولقد تمكنت من ترتيب مواعيدي لتتناسب مع هذه الزيارة القصيرة.

بدا وكأنه الأب الذي استدعي أمام مدير المدرسة لأن ولده مزعج.. وأضاف:

- لقد اقترح السيد دانكن أن نؤخر مناقشة المشكلة إلى أن تنضمي إلينا، وأنا آسف أن أسمع أن الأمور لا تسير بسهولة كما كنت آمل.

قال كاسبار:

- أنا لم أشرح لك الأمر هكذا.. يلدرز.

التفتت دي إلى كاسبار فرأته ينظر إليها وتعبير غريب على وجهه.. فسألته بقلق:

- ماذا هناك؟ ما الأمر؟

- لا شيء.. هذا تخمين يلدرز فقط.. منذ دقائق كان يسألني ما إذا كنت قد قابلت اليوناني المفلس الذي كنت مصممة على العيش معه في فقر رومانسي.. وأعلن أن تصميمك لمنزلي سيكون آخر عمل لك كواحدة من عماله.

قبل أن ترد، قال كونل:

- لكن، يجب أن أقول إنني لا أظنك ستسمحين لهذا الحب السخيف أن يؤثر على أدائك في العمل وأنت لا زلت موظفة لدي دي. وأظن أن هذا سبب عدم رضاك سيد دانكن.

- وهل ذكرت لك أنني غير راضٍ؟

- لا.. لم تقلها بالكلمات لكن..

- لكنك مخطىء.. كما أدركت أنني كنت مخطئاً أنا أيضاً.. أعذرني قليلاً، لدي ما هو ضروري لأخبره لديانيرا سراً.. لكن قبل هذا دعني أؤكد لك أنني لم أستدعك إلى هنا لأنذمر منها.. بل العكس!

أمسكها كاسبار بذراعها وأخرجها من الصالون إلى مكتبه.. أقفل الباب وسألها:

- لماذا لم تقولي لي إنك قدمت له استقالتك؟.. ولماذا لم تستطيعي مغادرة انكلترا حتى وقت متأخر؟

دون انتظار ردها جذبها بخشونة بين ذراعيه:

- أوه.. يا إلهي، يا حبي الصغير المسكين! كم كنت عنيداً ومتوحشاً معك.. لقد رفضت أن أصدق أنك عنيت ما قلته عندما أخبرتني بأنك تحبيني!

تعلقت به لا تكاد تصدق أن الحقيقة ظهرت بسبب عدم فهم كونل، وتوضحت لكاسبار حقيقة مشاعرها.

تمتمت: قلت لك، ولا أظنك اقتنعت وقتها.

- من الممكن هذا، لم أصدق إلى أن أعلن يلدرز هذا.. وقال إن آخر مرة شاهدك فيها كنت مصممة على التخلي عن كل شيء لأجل عابث شاطىء من باكسوس معسول الكلام.

كان يكبح ضحكته فرفعت عينيها إليه لترى بفرح ملأ قلبها الوجه الأسمر الحبيب يبدأ بالانفراج ببسمة لطالما ظهرت على وجهه في السنة الماضية، لكنها ندُرَت منذ عودتها.

في وقت متأخر من تلك الليلة، شرح كاسبار لكونل أنه جاء به من انكلترا في طائرة زبونه الخاصة، لأنه أصبح هناك الآن سيدة دانكن، ولها وجهة نظر في تصميم المنزل الداخلي أكبر وزناً من رأي زوجها.

تركت دي الرجلين يتحدثان وهي تعرف من النظرة التي رمقها بها

زوجها بعد أن تمنت ليلة سعيدة لكونل، أنه لن يطيل البقاء، وأنه سيلحق بها فوراً.

جلست تسرّح شعرها وهي تنتظر، تضرب بقدمها الأرض على النغم البطيء لموسيقى «سيرتاكي» المشابه للنغم الذي رقصا عليه بنشاط وحيوية ليلة تناولا العشاء في «مونغونيزي».. وقبل أن يبدأ النغم بالتسارع، جاء كاسبار الحبيب ووقف للحظات وهو يراقبها عبر المرآة إلى أن التفتت إليه باسمة.

بدأ جسده الرجولي يتحرك مع النغم.. خلع قميصه الرمادي الذي ارتداه للعشاء تلك الليلة.. وازدادت خطوط الضحك في ذقنه عمقاً وهو يبدأ الرقص.. فجأة، لم يعد ذلك المدني الذي كان منذ لحظات يناقش شؤون العالم مع كونل، وعاد ليصبح يونانياً رشيق القوام، يعبر دون ارتباك عن مشاعره نحو الموسيقى.. ويشير لعروسه بالانضمام إليه.

فيما بعد وبعد أن أقفل الراديو، كانت هي مستلقية ورأسها على كتفه، قالت:

ـ شيء واحد لا أفهمه.. ماذا كنت تفعل في الكوخ وحدك في أول يوم التقينا، وأين كان اليخت سالينه يومها؟

ـ كنت قد أعرته إلى صديق كانت زوجته مريضة جداً وتحتاج إلى هواء البحر والهدوء.. عندما كانت جدتي حية، كنت أعير يختي لأصدقاء بينما أمضي أسبوعين في باكسوس.. كانت جدتي امرأة عجوز عنيدة.. حين ترملت، رفضت العيش مع خالتي في أثينا، وأنا حاولت أن أحسن الكوخ لها فلم تقبل.

توقف قليلاً، ثم تابع:

ـ كما أظن أنني قلت لك.. ماتت في الصيف الماضي.. وعدت لوقت قصير لحضور جنازتها ثم أقمت فترة أطول، بينما كان صديقي

يبحر إلى كورسيكا.. كنت أحتاج إلى «راحتي السنوية» ولأفكر ببناء منزل هنا. لكن، ولأنه لا زوجة لي ولا أخرى في خيالي عندما وصلت.. لم أكن مستعجلاً.. ثم دخلت حياتي.. ثم خرجت منها بعد وقت قصير.

غيرت دي وضعيتها، واستدارت مستلقية لتواجهه.

ـ ومتى قررت بناء المنزل؟

ـ فكرت جدياً بعد لقائي بڤيكتور جنوبي فرنسا.. قال لي إن غبياً وحده قد يتوقع من فتاة مثلك أن تتقبل الحب في كوخ في باكسوس، صيفاً وشتاء.. لذا فكرت بمشروع يعيدك إلى الجزيرة هذا الربيع، ويحافظ على ماء وجهي.. وشخصيتي الأخرى كاسبار برنانوس، إلى أن تسوي الأمور بيننا.

ـ ألم تخف أبداً أن أكون قد نسيتك أو قابلت غيرك؟

ـ بالواقع لا.. فأنت لست من النوع الذي يقع في الحب ثم يتخلى عنه بسرعة. في شهر كانون الأول كتب لي ڤيكتور أنه التقى بك في لندن وكنت تبدين كالشبح وحزينة ولقد اعترفت لي في الواقع أنك كنت هكذا.

ـ مع ذلك لم تشعر أنك مضطر للمجيء لمواساتي؟

لامست خدها الناعم بأصابعه:

ـ بلى.. لكن مسؤولياتي العائلية كانت تتدخل في ذلك الوقت.. أحد أخوالي اليونانيين الذي عاش في أميركا ثلاثين سنة، كان يعاني مشاكل عمل كبيرة.. وفي نفس الوقت وقعت ابنته الصغيرة عن ظهر دراجة نارية، وأصيبت إصابات خطيرة خاصة في وجهها.. كان يحتاج إلى النصيحة والعون. واحتاجت الفتاة إلى أفضل جراحة تجميل لم يكن قادراً على تحملها في ذلك الوقت.. فاضطررت إلى قضاء الميلاد ورأس السنة معهم.

ـ كنت أتساءل أين أنت، وما إذا كنت تفكر بي.

ـ كنت أفكر بك طوال الوقت، وأرغب في رؤيتك كلما مررت بلندن، ولم أغير رأيي حول حاجتي لزوجة تهتم بي أنا ولا أحد غيري.

ـ لكن حبيبي.. لا تستطيع أن تعرف كم أنت جذاب كرجل بغض النظر عن اليخت وكل شيء آخر.. فلا تقل لي أبداً إنني السائحة الأولى التي علقت في شباك سحرك.

ـ نادراً ما ألتقي بالسائحات.. كل النساء اللواتي عرفتهن، عرفتني كجارد دانكن.. ولأن من المؤكد أن الشائعات قد تكون أخبرتك بهذا، ربما يجب أن تعرفي أنني كنت في أوائل العشرين من عمري مخطوباً لفتاة تبين لي أنها تحب شخصاً آخر. ولم أكتشف هذا إلا بالصدفة.. كانت قد اقتنعت بقبول خطبتي بضغط من أمها الطموحة.. وهذا ما علّمني أن قلائل من النساء لا يعرفن تمثيل الأدوار، بينما العديدات يمثلن طوال الوقت. لماذا لم تخبريني بأنك ما كنت قادرة على ترك جدك؟ لقد استخدمت كل جدال ممكن إلا هذا.

ـ ربما لأن هذا كان أقوى جدال عندي، ولأنني كنت أتصور في أعماق نفسي أن المجيء إلى لندن لرجل مثل كاسبار برنانوس، أمر لن ينجح، أن يلعب دوراً ثانوياً أمام زوجته، وعندما التقيت بڤيكتور قال إنهما وخلال تصارع مصالحهما، فاي هي التي ستستسلم في النهاية، لأن النساء يرغبن دائماً في هذا.

ـ يجب أن تلتقي فاي في وقت لاحق من هذه السنة وأظنكما ستعجبان ببعضكما.. أما الآن، ولوقت طويل قادم، أريدك فقط لنفسي، سيدة دانكن.

ودخلا في عناق حميم، عناق حب لطالما تمنته منذ زواجهما.

رفعت يدها إلى وجهه وهي تتلمسه بحنان ولين ورقة.

وأخذت تمازحه وهي تقول:

ـ سمعاً وطاعة، يا سيدي ومولاي.

***